التبليغ الديني

على ضوء الكتاب والسنة

د. الشيخ عبد الهادي الفضلي

الشيخ إبراهيم بدوي

الشيخ أيوب الحائري

المركز الدولي للتبليغ الديني المنطقة العربية

دار الولاء

بيروت - لبنان

التبليغ الدّيني
على ضوء الكتاب والسنّة

دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - سنتر فضل الله
تلفاكس: 009611545133 - 689496 -009613 ص. ب: 327/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

المركز الدولي للتبليغ الديني - المنطقة العربية
بيروت - لبنان
هاتف: 009613174090 - فاكس 009611843907

الكتاب:	التبليغ الدّيني على ضوء الكتاب والسنّة
إعداد وتنظيم:	المركز الدولي للتبليغ الديني - المنطقة العربية
الناشر:	دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة:	الاولى - بيروت ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

التبليغ الدّيني

على ضوء الكتاب والسنّة

د. الشيخ عبد الهادي الفضلي
الشيخ إبراهيم بدوي
الشيخ أيوب الحائري

إعداد وتنظيم
المركز الدولي للتبليغ الديني
المنطقة العربية

دار الولاء
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أهمية التبليغ والإرشاد الديني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مبلّغ الإسلام الأول الرسول الأكرم ﷺ وعلى آله الطاهرين الهداة المهديين عليهم السلام.

كانت قضية الإرشاد وهداية الناس ودعوتهم إلى الله العظيم من الأسس التي قامت عليها رسالات الأنبياء عليهم السلام وتمثل المحور في مناهجهم.

تبليغ الإسلام وبيان مبادئه وأحكامه، وتعاليمه من الواجبات المهمة التي أكد عليها القرآن الكريم والسنة الشريفة، ودعيا إلى ممارسته في كل زمان ومكان، ووجّها مسؤوليته إلى المسلمين عموماً والعلماء المتخصصين في العلوم الدينية بوجه خاص.

وللعمل التبليغي أصول وشرائط وأساليب لابد من التعرّف عليها والالتزام بها كي يكون مثمراً وموفقاً.

وعلماء الدين والمذهب يتحملون هذه المسؤولية الحساسة نفسها، فإن أخلصوا في العمل كان لهم موقع الأنبياء، وكانوا هم

المبلّغين لرسالات الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾(١).

يقول الشيخ الطبرسي: (**وفي هذه الآية دلالة على أن الدعاء إلى الدين من أعظم الطاعات وأجل الواجبات**)(٢).

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**لما بعثني رسول الله إلى اليمن، قال: يا علي لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس ولك ولأوه**»(٣).

وقد اهتم قادة الإسلام العظام اهتماماً خاصاً بنشر الأحاديث والعلوم الإسلامية بين المسلمين، اعتبروا ذلك من العبادات القيمة والمهمة.

روى معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، أيهما أفضل؟.

قال: «**الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد**»(٤).

---

(١) فصلت: ٣٣.

(٢) مجمع البيان: ج٩ ص١٣.

(٣) سفينة البحار: ج١/ ص٢٠٠.

(٤) أصول الكافي: ج١ ص٣٣.

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: **«عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»**[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«من تعلم العلم وعمل به وعلّمه لله دعي في ملكوت السماوات عظيماً»**[٢].

فكما أن هداية الإنسان تحظى بقيمة عالية فإن في إضلاله نفس النسبة من الأضرار والمصائب، جاء في القرآن الكريم: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٣].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية **«من أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنما أحياها ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها»**[٤]، وعلى ذلك يعتبر الإمام الصادق عليه السلام هداية الإنسان نتيجة لبثّ الأفكار الصحيحة والإسلامية معادلاً للإحياء، ويجعل إضلاله معادلاً لقتل النفس، كما اعتبرت الآية قتل النفس كقتل الناس والمجتمع.

وجدير ذكره هنا أن من الممكن أن يؤدي الكلام أو السلوك لدى البعض - دونما قصد - إلى انتشار الأفكار، والمعتقدات غير الصحيحة بدلاً من الإرشاد والهداية، وترويج الأفكار الإسلامية الصحيحة، ذلك لعدم معرفة أساليب التبليغ.

---

(١) أصول الكافي: ج١/ ص٣٣.
(٢) أصول الكافي: ١/ ص٣٥.
(٣) المائدة: ٣٢.
(٤) الحياة: ٢/ ٣٧.

لذا كان من اللازم أن نقدم لإخوتنا المبلّغين وأخواتنا المبلّغات هذه الرسالة، وهي عبارة عن توجيهات مضغوطة وتنبيهات قصيرة، نأمل أن يستفاد منها في إنجاز عمل عظيم ورسالة ثقيلة هي (التبليغ).

آملين أن تساهم هذه الدراسة في تقديم ما ينفع في إنجاح العمل التبليغي الشريف، وتنال رضا السادة المبلغين حيثما كانوا، ونسأل الله عز وجل أن يوفقهم في أداء مسؤوليتهم الكبيرة، ويكتب لهم النجاح في مهامهم، والوصول إلى الأهداف الإسلامية التي يرومون إليها.

ومن الجدير الإشارة إلى أن قضية (التبليغ الديني) لم تزل بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث، مع انفتاح العالم المعاصر على الإسلام.

وفي الختام نشكر مكتب الإمام الخامنئي دام ظله في سورية على تعاونه معنا في إعداد هذه المجموعة.

المركز الدولي للتبليغ الديني
المنطقة العربية
محرم ١٤٢٨هـ ـ كانون ثاني ٢٠٠٧م

التبليغ الإسلامي

الدكتور عبد الهادي الفضلي[1]

---

(١) أحد أبرز علماء المنطقة الشرقية في السعودية، واستاذ جامعي في جامعتي الملك عبد العزيز بجدة والجامعة الإسلامية في لندن.

أولًا: في المجال النظري

المُراد من التّبليغ الإسلامي

لكي نتعرّف معنى (التبليغ الإسلامي)، في سياق هذا البحث الذي بين يدينا، علينا أن نسلك إلى ذلك طريقين: أوّلهما معرفة معناه المعجمي، وثانيهما معرفة الاستعمال القرآني له.

يقول ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة): (الباء واللام والغين: أصل واحد، وهو: الوصول إلى الشيء).

وهذا يعني أن كلمة (تبليغ) تدل، بمادتها الأصلية، أو قل: بجذرها اللغوي، على معنى واحد، هو: الوصول إلى الشيء.

جميع المعاني الأخرى التي تدل عليها متصرفات هذا الجذر بشيء من التغيير عن طريق الزيادة أو التضعيف لا يخرج هذه المتصرفات عن هذا المعنى الحقيقي لها، وهو: الوصول إلى الشيء.

يقال: بلغ الشيء بلوغاً وبلاغاً: ابلغ زيد الرسالة: أوصلها.

وابلغ زيد الرسالة فلانا: أوصلها إليه. كما يقال: ابلغ زيد عمرا الرسالة: أوصلها إياه، ومنه قول عدي بن زيد:

أبلغ النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري

وتضعّف عينه التي هي اللام (بَلّغ) فيقال: بلّغ زيد الرسالة فلاناً: أوصلها إليه، ومنه قول عبد يغوث بن وقاص:

فيا راكبا إمّا عرضت فبلّغن ... نداماي من نجران أن لا تلاقيا

ومصدر ابلغ: إبلاغ وبلاغ، ومصدر بلغ: تبليغ وبلاغ.

وكلمة «بلاغ»، كما تستعمل مصدرا، تستعمل أيضاً اسم مصدر يطلق على نتيجة المصدر، وهو الشيء المبلغ، وهو ما بلغك من خبر ونحوه، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾(١).

ومن استعماله قرآنيا بمعنى التبليغ قوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾(٢)، أي التبليغ.

وجاء استعمال الفعل من المادة المذكورة في القرآن الكريم مجردا ومزيدا ومضعفا، قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾(٣)، «أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه القرآن ووصل إليه».

وقال: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾(٤).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(٥).

---

(١) إبراهيم/ ٥٢.
(٢) آل عمران/ ٢٠.
(٣) الأنعام/ ١٩.
(٤) الجن/ ٢٨.
(٥) المائدة/ ٦٧.

وفي «معجم ألفاظ القرآن الكريم»: «يقال: بلغته الخبر تبليغاً، وأبلغته، بمعنى: أوصلته إليه.

وكل ما جاء في القرآن معدّى بالهمزة أو التضعيف فهو بهذا المعنى»(١).

والنتيجة التي نخلص إليها هي: أن لفظ التّبليغ يدل، في الاستعمال اللغوي العام والاستعمال القرآني، على توصيل أو إيصال الشيء إلى لآخر.

ومقصودنا منه، هنا، تبليغ الإسلام إلى الناس، ولذا نسبناه إليه فقلنا «الإسلامي»، ذلك أن ياء النسب، هنا، تقوم مقام الإضافة، إذ الأصل هو «تبليغ الإسلام».

والمراد بالإسلام، ووفق احدث تعريف له: الدين الإلهي الذي بعث به نبينا محمد ﷺ إلى البشرية كافة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٢)، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(٣)، وختمت به الأديان الإلهية المتقدمة عليه زمانا، والرسالات السماوية الممهدة له ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٤).

وهو يشتمل على عقيدة ونظام.

---

(١) يراجع: المعجم الكبير، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم: مادة بلغ.
(٢) سبأ/ ٢٨.
(٣) الأعراف/ ١٥٨.
(٤) الأحزاب/ ٤٠.

عقيدة: هي نظرة فلسفية أو فكرة عقلية عن بداية هذا الكون ونهايته.

أو قل: هي نظرة عقلانية عن المبدأ والمعاد.

وتقوم العقيدة بوظيفة ربط الإنسان بخالقه، وهو الله تعالى، وتعميق علاقته به وتوسيعها.

وهي، في الوقت نفسه، قاعدة أساسية للنظام الإسلامي، ينبثق عنها، ويرتكز عليها.

وهو، اعني النظام، كامل في منهجه متكامل في مواده، وشامل لجميع مفردات سلوك الإنسان ونواحي حياته في هذه الدنيا.

وهو، في الوقت نفسه، يهدف إلى تحقيق السعادة للإنسان وتحصيلها في النشأتين: الدنيا والآخرة.

وننتهي من هذا كله إلى أن معنى التبليغ الإيصال، وتبليغ الإسلام تفهيمه لمن لا يفهمه من المسلمين.

ونلمس هذا المعنى واضحا في مجال التطبيق عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ففي (نهج البلاغة):

- فبلغ (يعني رسول الله) الرسالة صادعا بها، وحمل على المحجّة دالا عليها.

- فبلغ (يعني رسول الله أيضاً) رسالات ربه غير وان ولا مقصّر.

- بلّغ (يعني رسول الله) عن ربه معذراً، ونصح لأمته منذراً.

ـ واصطفى ـ سبحانه ـ من ولده (يعني آدم) أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم.

وهذا يغنينا في الاستشهاد لتأكيد المعنى الذي ذكرناه للتبليغ مستفادا من القرآن الكريم ومعجم اللغة العربية.

وعليه: فالمراد من العنوان المذكور: تبليغ الإسلام عقيدة ونظاما ومنهج سلوك بتفهيمه للمسلمين.

وهو، على هذا، وظيفة شرعية يقوم بها من أنيطت مسؤوليتها به.

ويكتسب التبليغ الإسلامي أهميته وخطورة دوره في حياة الإنسان المسلم من انه العامل الأساسي في تكوين الشخصية الإسلامية للفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة المسلمة.

وندرك هذا بوضوح من معرفتنا للمجالات الفكرية التي ينطلق فيها، والوسائل التي يستخدمها لذلك، والأهداف التي يتوخى الوصول إليها.

اما المجالات الفكرية التي ينطلق فيها فهي:

ـ العقيدة الإسلامية.

ـ التشريع الإسلامي.

ـ الأخلاق الإسلامية.

ويتوسل، في إيصال هذه، إحكاما وتعليمات وإرشادات ومفاهيم بالوسائل الآتية:

ـ التعليم.

ـ التربية.

ـ الإعلام.

وبانتهاجه اقوي الأساليب العلمية والفنية، المقدورة والمشروعة للوصول إلى هدفه الأسمى، وهو: جعل سلوك الإنسان، فكريا كان أو بدنيا، مع نفسه أو مع غيره، يلتقي مع فطرته التي فطره الله عليها ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١)، وبما يحقق له المصلحة فردا وأسرة ومجتمعاً ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(٢).

من هنا تأتي أهمية التبليغ الإسلامي وخطورته، لأنه بهذه التغطية الشاملة لحياة الإنسان المسلم يحقق للإسلام ـ بوصفه عقيدة ونظاما ومنهج حياة ـ شموليته واستيعابه لجميع جزئيات حياة الإنسان ومفرداته بالتوجيه والتنظيم.

وهو بهذا يعد أهم ظاهرة دينية في حياة المسلمين وأخطرها.

فمتى كان التبليغ بمستواه، بوصفه وظيفة دينية، من حيث قدرات الإنسان المبلغ ومواتاة ظروفه له، كان الأقرب إلى تحقيق أهدافه سليمة كاملة.

---

(١) الروم/ ٣٠.
(٢) الأعراف/ ٩٦.

ومتى كانت الأخرى فالأمر بالعكس، ويختلف هذا نسبيا وفق معدلات قدرات المبلغين، وحسب معدلات مواتاة الظروف.

ولا خلاف عندنا، نحن المسلمين، في أن التبليغ الإسلامي هو امتداد لظاهرة التبليغ الديني، تلك الظاهرة التي انوجدت مع بعثة أول نبي حمله الله تعالى مسؤولية تبليغ الشريعة الإلهية إلى الناس الذين بعث إليهم ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾(١).

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۞ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٢).

وروى الشيخ الكليني، في «روضة الكافي» بإسناده عن أبان عن يعقوب بن شعيب، انه يسال أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ فقال: «كان الناس قبل نوح امة ضلال، فبدا لله فبعث المرسلين».

وعليه: فالتبليغ الإسلامي يرجع في جذوره التاريخية إلى ظاهرة التبليغ الديني.

(١) البقرة/ ٢١٣.
(٢) النساء/ ١٦٣ ـ ١٦٥.

وهذه الظاهرة كانت قد تدرجت في تطورات نموها وفق مقتضيات الظروف البشرية زمانية ومكانية، وكذلك وفق المتوافر من الإمكانات البشرية من حيث مستوى الإدراك ومستوى التفكير، ومن حيث الطاقات البدنية والقدرات الآلية وفي حدود المتاح، ذلك أن التبليغ الديني مر بمراحل تاريخية تطور فيها متناميا من حال إلى حال أخرى أفضل، فالنبي نوح عليه السلام لبث في قومه خمسين وتسعمئة عام يبلغهم رسالة ربه ويدعوهم إليه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾(١).

وكانت النتيجة كما يحكيها القرآن الكريم:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا * وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا *

(١) العنكبوت/ ١٤.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾(١).

بينما مكث نبينا محمد ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة يدعو قومه ويبلغهم رسالته الخاتمة، وكانت النتيجة كما يذكرها القرآن الكريم أيضاً: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢).

فالتبليغ الإسلامي، في ضوء ما تقدم، هو غاية ما وصل إليه التبليغ الديني من عمق في قوة التأثير وشمول في استيعاب مستلزمات الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) نوح/ ١ ـ ٢٨.
(٢) الفتح/ ٢٩.

مصطلح فقهي مهم

ويعد التبليغ الإسلامي، في ثقافتنا الإسلامية، من أهم المفاهيم الفقهية، لأنه يمثل مصطلحا مهما من مصطلحات علم الفقه، وكان على الفقهاء أن يعنوا به ويدرجوه في موضعه من البحث الفقهي، وكذلك الدرس الفقهي، وفي الرسائل العلمية، وهو أن يأتي رصيف «الدعوة الإسلامية» و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، إلا أن هذا لم يحدث في حدود اطلاعي، باستثناء ما وقفت عليه مؤخراً من تناول آية الله المشكيني له بالتعريف والتوضيح في كتابه القيم: «مصطلحات الفقه»، فقد تناول تحت عنوان (التبليغ) المسائل الآتية:

- مفهوم التبليغ في اللغة والعرف.

- تطور استعمال هذا المصطلح في وقتنا الراهن، حيث «كثر استعماله في عصرنا الأخير في خصوص إبلاغ المعارف الدينية، والمفاهيم الكتابية (يعني القرآنية) أصولا وأخلاقا وغيرها، ولاسيما إبلاغ الأحكام الفرعية الإلهية إلى من يجهلها من الناس ويحتاج إليها عوامهم».

- وبعد ذلك ذكر أن التبليغ، في الأصل، من وظائف الأنبياء والرسل وأوصيائهم.

- ثم عقب هذا ببيان حكمه الشرعي فقال: «لا إشكال ولا خلاف عندنا (يعني معاشر الإمامية)، بل عند المسلمين عامة، في وجوب تبليغ الدين الحنيف، اعني دين الإسلام، وجوبا عينيا أو

كفائيا على كل مكلف عالم به قادر على إبلاغه متمكن من إعلامه وإيصاله إلى الناس، أي إلى كل مكلف جاهل بأصوله أو فروعه، قاصر أو مقصر، منتحل بدين غير الإسلام كاهل الكتاب، أو غير منتحل بدين كالزنادقة المنكرين للمبدأ والميعاد ومن أشبههم».

ـ وحدد موضوعات التبليغ التي على المبلغ القيام بإبلاغها في جميع المعارف الإسلامية التي لها مدخلية في تكوين الشخصية الإسلامية وصياغتها، حددها في العقيدة والفقه والأخلاق، قال: «ولا فرق في هذا التبليغ بين أصول الدين بشؤونها، وفروعه بشعبها وغصونها، وبين المسائل الأخلاقية وغيرها مما له دخل في كمال الإنسان وعلوّه».

ـ وأخيرا استخلص من الآيتين الكريمتين:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١).

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ . . .﴾(٢).

أن الآية الأولى تخاطب الوالي أو الحاكم، ويعني به الدولة المتمثلة برئيس حكومتها، بوجوب إيجاد مؤسسة لتعليم أحكام الدين وشؤونه، وتتحقق هذه بإقامة الحوزات العلمية.

وان الآية الثانية توجب التحاق المسلمين، ممن لديهم الكفاءة للتعلم والتحصيل، وبهم الكفاية لتغطية احتياجات المسلمين للتبليغ،

---

(١) آل عمران/ ١٠٤.

(٢) التوبة/ ١٢٢.

الالتحاق بالحوزات العلمية، ليقوموا بعد تخرجهم بوظيفة التبليغ، قال: «ثم ليعلم أن مفاد قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ انه تعالى قد خاطب الناس، وأمرهم بتعيين امة متحدة الأهداف متمكنة من الدعوة إلى الخير والأمر والنهي، والخير شامل لجميع العلوم والأحكام، وحيث أن الناس قاصرون بالنسبة لهذا التكليف، محتاجون إلى من يتولى أمرهم، ويتصدى لهذه الوظيفة كغيرها من موارد إجراء الحدود والتصرف في الأصول العامة، فالخطاب في الحقيقة متوجه إلى الوالي، وحيث أن متعلق التكليف في هذه الأزمنة يرجع إلى تأسيس الحوزة أو الحوزات العلمية.

فمبدأ التبليغ يكون على الوالي وحاكم المسلمين.

ومقتضى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾[1] لزوم نفر المستعدين للتعليم والتحصيل إلى الحوزات ليتحقق بهم هدف التبليغ على اختلاف شؤونه وأقسامه، فيجب على عدة إبلاغ الأصول بالأدلة العقلية والنقلية من طريق البيان والكتابة والبنان، وعلى آخرين تبليغ الفروع باستنباطها من مداركها وعرضها للعمل، وعلى ثالث بالنفر إلى البلاد وإبلاغ الدين إلى العباد، وعلى رابع الإبلاغ بوساطة الإذاعات العامة والخاصة، وعلى خامس بوساطة النشريات والمجلات وتأليف الكتب والرسائل، وعلى سادس بالصعود على كراسي الخطابة والوعظ، وعلى جميع المكلفين

---

(١) التوبة/ ١٢٢.

العالمين بالأحكام ولو مسالة واحدة إبلاغها إلى الجاهلين بها مع شرائطه المقررة في محله ومكانه».

والملحوظ أن الشيخ (حفظه الله) أطال إلى حد ما في الحديث عن هذا المصطلح وفي تفصيل شؤونه، ويرجع هذا، في ما اقدر، إلى عدم تعرض الآخرين لهذا المصطلح.

وعمله هذا يعد ريادة موفقة في إثارة البحث حول موضوع التبليغ، كما أن تفصيله فيه جاء وافيا وشافيا.

واجب وجوباً مؤكداً

ومن المفروغ منه شرعا أن التبليغ الإسلامي واجب وجوباً مؤكداً.

ولا خلاف في انه واجب عينا على من أنيطت مسؤوليته به كالنبي ﷺ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[1]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2]، وكالأئمة عليهم السلام من بعده، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حريم الله، يحلل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة»[3].

(١) الأنعام/ ١٩.

(٢) المائدة/ ٦٧.

(٣) انظر التربية الدينية، الإمامة.

وكذلك لا خلاف في وجوبه عينا على من انحصر أمر التبليغ به.

كما انه لا اختلاف في انه يجب كفاية على من توفر فيه شرطا الواجب الكفائي، وهما: الكفاءة والكفاية.

وتختلف الكفاية التي تعني تغطية حاجة المسلمين له باختلاف الظروف، فقد يكتفى في ظرف ما بالعدد القليل، وقد لا يكتفى إلا بالعدد الكثير.

والواجب، هنا، شيء بديهي، ذلك أن الإسلام مبدأ الهي شرعه الله تعالى ليحقق السعادة للإنسان المسلم، وهكذا مبدأ يحتم على أصحابه القيام بتبليغه، والعمل به، من اجل تطبيقه، وهي سنة الحياة وطبيعتها في عالم المبادئ والدعوة إليها.

والآية الكريمة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ ظاهرة في إفادة الوجوب الكفائي.

شروط المبلغ

ويشترط في الإنسان ليكون مبلغا أن يتوافر على الأوصاف المستفادة مما أملته التجارب الكثيرة التي قام بها المبلغون، وهي:

١ ـ الإيمان بالمبدأ

وأعني بهذا أن يكون الإنسان الذي يريد أن يقوم بالدعوة إلى مبدأ ما مؤمنا بسلامة ذلك المبدأ وصحته، وبفائدته ونفعه للناس، وعن اقتناع بذلك، استنادا إلى الأدلة الناصعة والبراهين القاطعة.

والإيمان دافع نفسي قوي، وكلما ازداد كان المبلغ إلى أن ينكر ذاته من اجل مبدئه اقرب، وبمرحلة الفداء والتضحية في سبيله الصق.

إن توافر الإيمان في المبلغ هو القوة الفاعلة في تنشيطه وحفزه إلى القيام بوظيفة التبليغ.

٢ ـ فهم المبدأ

ويراد به أن يكون المبلغ عالما بالفكرة أو المعلومة التي يريد أن يقوم بتبليغها.

وهو شيء بديهي، ذلك أن تبليغ الرسالة، أية رسالة كانت، يوجب على المبلغ أن يكون فاهما لها وعارفا بها، لان التبليغ إيصال الفكرة أو المعلومة إلى الأخر، فمتى لم يفهم المبلغ الرسالة التي اسند إليه القيام بتبليغها لا يستطيع، وبالبداهة، أداء ما اسند إليه القيام به.

٣ ـ معرفة طرق التبليغ

لا يختلف التبليغ عن غيره من المهارات التي تتطلب الدربة والمران، والعلم بطرق إيصال الفكرة أو المعلومة إلى الأخر من أساليب ووسائل، ليضمن المبلغ بذلك نجاحه في مهمته وأداء رسالته.

وهو شيء جلي لا يفتقر إلى إيضاح بأكثر مما ذكرت.

٤ ـ الإحاطة بأجواء أرضية التبليغ

لابدّ للمبلّغ من الإحاطة بواقع طبيعة المجتمع الذي يريد أن يقوم بالتبليغ في أجوائه:

- معرفة نفسيات أبنائه.
- معرفة مستويات تفكيرهم.
- معرفة نوعية خلفياتهم الثقافية وكميتها.
- معرفة نتائج نظرتهم للحياة.
- معرفة الشبهات التي تدور في أذهانهم ضد المبدأ.

وكل ذلك لكي ينهج على أساس من إحاطته بهذه الأمور، الأسلوب المناسب، والوسيلة القادرة على حمل التبليغ وإيصال البلاغ إليهم، وليقيس، في ضوء هذه الإحاطة، مدى استجابتهم لتقبل دعوته أو فهم فكرته.

بين التبليغ والدعوة والأمر بالمعروف..

كل هذا الذي تقدم كان من حيث النظرية، وفي حدود المختصر.

وقبل أن ننتقل إلى مرحلة التطبيق بتبيان بعض التجارب التي قام بها بعض المبلغين، علينا أن نشير إلى أن هناك فرقا بين التبليغ، بوصفه مفهوما إسلاميا، وأخويه: (الدعوة الإسلامية) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وهذا الفرق يتمثل في أن الدعوة الإسلامية تعني دعوة غير المسلم إلى الدخول في الإسلام، ومنه سمي الجهاد الابتدائي بجهاد الدعوة، أي دعوة غير المسلم إلى الدخول في الإسلام، بينما يعني التبليغ الإسلامي إيصال الأحكام الإسلامية إلى من يجهلها من المسلمين.

أما الأمر بالمعروف...، فيراد به حث المسلم العارف بالحكم الشرعي على تطبيقه والعمل به، كما يراد بالنهي عن المنكر ردع المسلم عن عمل المنكر الذي يعلم انه منكر.

والفرق بين التبليغ والأمر بالمعروف... أن التبليغ، في واقعه، هو تعليم الأحكام الشرعية لمن لا يعرفها، والأمر بالمعروف... هو حث المسلم العالم بالحكم على تطبيقه والعمل به.

ومنه نتبين أن هناك تدرجا عمليا، أو مرحليا، بين هذه الأساليب الثلاثة يتمثل في أن الدعوة تسبق التبليغ، والتبليغ يسبق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أهم مؤسسات التبليغ

ومن أهم مؤسسات التبليغ في مجال التعليم:

١ ـ الحوزات العلمية.

٢ ـ الجامعات الإسلامية.

٣ ـ كليات الشريعة.

٤ ـ المعاهد العلمية الدينية.

٥ ـ المدارس الأهلية الدينية... الخ.

ومن أهم مؤسسات التبليغ في مجال التوعية والتربية:

١ ـ النوادي الثقافية.

٢ ـ النوادي الأدبية.

٣ ـ النوادي الرياضية.

٤ ـ الجمعيات الخيرية الإسلامية.

٥ ـ المراكز الثقافية الإسلامية.

٦ ـ المراكز العلمية.

٧ ـ خطب الجمعة.

٨ ـ الخطب الحسينية.

٩ ـ المحاضرات الإسلامية.

١٠ ـ الندوات الإسلامية.

ومن أهم وسائل التبليغ في مجال التغيير الاجتماعي:

١ ـ المسرحية الإسلامية.

٢ ـ الفيلم السينمائي الإسلامي.

٣ ـ البرامج الإسلامية في التلفزيون.

٤ ـ البرامج الإسلامية في الراديو.

٥ ـ الكتاب الثقافي الإسلامي.

٦ ـ الرواية الإسلامية.

٧ ـ المجلة الثقافية الإسلامية... الخ.

ومن هذه وأمثالها شيء غير قليل في العالم الإسلامي إلا أنه بحاجة إلى التطوير إلى ما هو أفضل، والى الإضافة التي ترتفع به إلى المستوى الذي يلبي المطلوب في سد حاجة المسلمين تبليغيا من حيث الكم والكيف.

ثانياً: في المجال التطبيقي

وبعد هذه الإشارة القصيرة إلى أعمال المسلمين أفرادا ومجتمعات ودولا، في مجال التبليغ الإسلامي، ننتقل إلى ما يهدف إليه البحث من دراسة التبليغ الإسلامي، تطبيقيا، في ميداني الحوزات العلمية الإمامية والمرجعيات الدينية الشيعية.

الحوزات العلمية

إن نمط التعليم في الحوزات العلمية هو أقدم أنماط التعليم الإسلامي، وكان يعرف بـ(حلقات الدرس المسجدية)، لان بدايته كانت، من حيث المكان، في مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة، ثم منه امتد إلى المساجد الإسلامية الأخرى في مختلف البلدان الإسلامية.

وعرفت بعض المدن الإسلامية، بوصفها مراكز كبيرة لهذا اللون من الدراسة، كالبصرة والكوفة وبغداد والنجف في العراق، وقم ومشهد وأصفهان وطهران في إيران.

وحاليا يوجد مركزان كبيران للشيعة الإمامية في العالم، هما:

١ ـ الحوزة العلمية في النجف الأشرف في العراق.

٢ ـ الحوزة العلمية في قم المقدسة بايران. وهي، حاليا، اكبر من سابقتها، من حيث عدد الطلبة وعدد الاساتذة وآليات الدراسة، وذلك بسبب مواتاة الظروف المساعدة، وعدم مواتاتها لرصيفتها في النجف.

وتقسم الدراسة في الحوزات العلمية الإمامية إلى ثلاث مراحل:

١ ـ مرحلة دراسة المقدمات:

ويراد بالمقدمات العلوم الآلية التي تعد مساعدة وممهدة للتخصص في فقه أهل البيت عليهم السلام. ويدرس فيها الطالب علوم العربية: الصرف والنحو والبلاغة، والعلوم العقلية: المنطق والكلام.

وتتم الدراسة من خلال الكتب المقررة وبطريقة شرح العبارة.

٢ ـ مرحلة دراسة السطوح:

ويراد بذلك الدراسة السطحية التي لا يعتمد فيها الاستدلال إلا بمقدار ما يمهد لحضور الطالب البحث الخارج، وهذه التسمية جاءت في مقابل البحث الخارج الذي يعتمد فيه الاستدلال التفصيلي.

ويدرس فيها الطالب: الفقه وأصول الفقه، من خلال الكتب المقررة، وبطريقة شرح العبارة أيضا.

٣ ـ مرحلة البحث الخارج:

سمي هذا البحث بالخارج لان الدراسة هنا تكون خارج الكتب، أي ليس من خلال كتاب مقرر كما في المرحلتين السابقتين.

وسمي بالبحث لأن الأستاذ، هنا، لعدم إلزامه بكتاب مقرر، عليه أن يُلزم بطريقة البحث العلمي في إعداد مادة الدرس من مختلف مصادرها.

وتعتمد الدراسة في هذه المرحلة على طريقة المحاضرة.

وقد مر على هذا اللون من الدراسة أكثر من ألف عام، تغيرت فيها الكتب الدراسية المقررة، ولم تتغير فيها الطريقة، كما لم تتغير فيها العلوم المقررة لا حذفا ولا بالإضافة، أي أنها حافظت على أصالة البرنامج التعليمي الموروث، ولم تعط الاهتمام المطلوب لمتطلبات المعاصرة.

أقول هذا لأن الغاية من هذه الدراسة هي إعداد المعلم الإسلامي والمبلغ الإسلامي.

ومن غير شك أن التعليم، وكذلك التبليغ، تختلف وسائلهما وأساليبهما باختلاف الأعصار والأمصار حسب مقتضياتهما في اتباع أفضل طريقة في تحقيق الغاية من التعليم والغاية من التبليغ.

ومن هنا ينبغي إعادة النظر في ما ينبغي إعادته فيه من شؤون الحوزات كالمواد العلمية والكتب الدراسية وطرق التدريس.

كما ينبغي إيجاد إدارة تتولى شؤون التنظيم وشؤون التعليم.

وأن يكون من التنظيم:

- اشتراط الشهادة الثانوية أو ما يعادلها في القبول.
- تحديد مدة الدراسة.

ـ تقييم مستوى الطالب علميا عند تخرجه، وتزويده بالوثيقة التي تثبت ذلك.

ولابد، هنا، من التركيز على مسالة مهمة، وهي بيان الهدف من الدراسة، لأنه الشأن المهم الذي يرتبط بموضوعنا (التبليغ الإسلامي).

إننا، إذا رجعنا إلى أدلة الجامعات، وهي الإصدارات التي تعطي صورة عن الجامعة إداريا وأكاديميا، سوف نقرا في أولى صفحاتها بيان الهدف من الدراسة في الجامعة، بينما لا نجد أي شيء من هذا في الحوزات لا تحريريا ولا شفهيا، ذلك أن الطالب يدخل الحوزة ويواصل دراسته لعدة سنوات ثم يخرج منها، وهو لم يعرف من قبل أساتذته أو غيرهم من المسؤولين والمعنيين في الحوزة بالهدف من دراسته، وكل ما يفهمه هو انه سيكون إمام مسجد، والإجابة عن الأسئلة الشرعية التي توجه إليه.

وقد طرحت السؤال الآتي: «ما هو الهدف من دراستك؟» على عدد من خريجي الحوزات العلمية يمثلون العينة الكافية للاطمئنان إلى إجاباتهم، ولم أتلق إجابة من احد تقول: انه التبليغ الإسلامي.

ولا أخال أن هناك مؤسسة تعليمية لا هدف لها، أو لا يعرف أبناؤها ما هو هدفها.

إن الذين يكنون كل الحب وبإخلاص، وكل التقدير وبوفاء، لهذه المؤسسة العلمية العظيمة بعراقة أصالتها ووفرة عطائها، ليرجون أن يعمل القادرون من أبنائها على تطويرها إلى ما هو أفضل، وعلى التأكيد، وبكل تركيز، على بيان الهدف من الدراسة، وعلى إعداد

الطالب إعدادا وافيا يهيئه للقيام بهذه المسؤولية الشريفة والعظيمة، واعني بها مهمة التبليغ الإسلامي.

وقد قرأت غير محاضرة مطبوعة لسماحة المرجع القائد آية الله العظمى السيد الخامنئي يدعو فيها أساتذة الحوزة في قم والمعنيين فيها إلى ذلك، بما يفرض علينا الاستجابة لدعوته والتجاوب معه، لأنه، وأقول هذا بكل ثقة، الرائد الذي لا يكذب أهله، والقائد الذي ارتفع إلى مستوى مسؤوليته، حقق الله على يديه، وبمساعدة المخلصين من رجالات الحوزة العلمية بقم المقدسة، ما يصبو إليه الجميع من تطوير واقع الحوزة إلى ما هو ارفع وانفع.

المرجعيات الدينية

المرجعية، عندنا، معاشر الإمامية، مصطلح خاص مأخوذ من كلمة «مرجع» على هيئة المصدر الصناعي. والمرجع، هو الآخر، مصطلح خاص، يراد به الفقيه العادل الذي يرجع إليه في أمور التقليد لأخذ الأحكام الشرعية الفرعية منه والعمل على وفقها.

والمرجع، عندنا، يمثل النيابة العامة عن الإمام المهدي عليه السلام في الوظائف الآتية:

- الإفتاء.
- القضاء.
- الحكم.

وهذا المعنى يفرض أن يكون النائب عن الإمام واحدا كما كان الإمام في كل عصر واحدا.

من هنا، ولعلاج قضية تعدد المرجعيات، قلت في أحاديث لي سابقة: على الأمة، وعن طريق علمائنا المجتهدين العدول، اختيار واحد من المؤهلين للمرجعية بتوافره على المواصفات الآتية:

- الاجتهاد.

- العدالة.

- القدرة على القيادة لإدارة شؤون الناس.

وبأية طريقة مشروعة من طرق الاختيار.

ومهمة المرجع هي رعاية مصالح الأمة إن كان حاكما، والدفاع عنها إن لم يكن حاكما.

وفي وقتنا الراهن، ولأسباب قائمة ولدتها الظروف قسمت المرجعية إلى قسمين:

- مرجعية قيادة، وهي التي تحدثنا عنها في أعلاه.

- ومرجعية تقليد، وهي أن يبقى المجال مفتوحا أمام الفقهاء العدول الآخرين ليقلدوا من قبل عامة الناس في شؤونهم الخاصة، كالعبادات والمعاملات في حدود ما هو مدون في الرسالة العملية بصيغتها الموروثة، وفي الوقت نفسه عليهم أن يخلوا أمر الإفتاء في الشؤون العامة، وتحديد المواقف في القضايا التي تهم الجميع، للمرجع القائد.

قلتُ بهذا التقسيم وتوزيع الأدوار ليكون ذلك تمهيدا عند زوال الأسباب المشار إليها لتوحيد المرجعية، ذلك أن من اخطر إفرازات

التعدد تضارب الموقف في القضايا العامة بما يهز مصالح المسلمين ويضر بها، وقد يستغل من قبل من يريد السوء بنا.

وليست ببعيدة منا قضية المشروطة والمستبدة، واقرب منها تصادم الرأي بعد انبثاق الثورة الإسلامية المباركة في إيران في مسالة الحكم عند غيبة إمام العصر بين السلب والإيجاب، وما أدت أمثال هذه إليه مما ينبغي ألا يكون.

هذه واحدة مما أردت الإلماح إليها بدافع الحب والوفاء ومن باب أن الرائد لا يكذب أهله.

ومن المراجع الذين عاصرناهم وكانوا ذوي اهتمام بقضية التبليغ نذكر:

السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ):

فقد كان يحث طلابه من على منبر درسه على ذلك، وكان يصرح أن من لا يقوم بالتبليغ لا يحق له أن يأكل من حق الإمام.

وقام في مجال التبليغ بالأعمال الآتية:

١ ـ تأسيس مدرسة العلوم الإسلامية لتخريج مبلغين يتحلون بمتطلبات المعاصرة، من حيث النظرة إلى واقع الحياة، ثم التعامل مع الحياة من خلال فهمهم لواقعها، ومن حيث التزود بالثقافة المساعدة على ذلك. وقد كانت هذه المؤسسة العلمية تحت إشراف السيد محمد باقر الصدر علميا.

٢ ـ إرسال مبلغين، يومي الخميس والجمعة، إلى مختلف

القرى والأرياف العراقية يقومون بإمامة الجماعة وإلقاء المحاضرات والإجابة عن الأسئلة الشرعية التي توجه إليهم.

٣ ـ بعث مبلغين، خلال شهر رمضان، للقيام بالأعمال نفسها المذكورة في أعلاه.

٤ ـ فتح مكتبات دينية في مختلف المساجد والحسينيات المنتشرة في المدن والقرى والأرياف للمطالعة، ولتكون مركزا للتثقيف عن طريق إلقاء المحاضرات وعقد الندوات وإقامة الدورات التعليمية خلال العطلة الصيفية.

٥ ـ ملء الأماكن التي لم يكن يوجد فيها مبلغ بالوكيل الثابت وغير هذه.

السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ):

من أهم ما قام به بناء مؤسساته المعروفة في لندن ونيويورك وغيرهما لتكون مراكز تبليغ ومنتديات تثقيف.

الإمام الخميني (ت ١٤٠٩هـ):

من أبرز أعماله وأعظمها في هذا المجال هو:

١ ـ إقامة الدولة الإسلامية في إيران التي أعطت مهمة التبليغ الزخم القوي بما أحدثته من ثورة ثقافية إسلامية، والتي توسعت توسعا استقطبت به أنظار العالم، وذلك على يد نائبه السيد الخامنئي مد الله في عمره الشريف.

٢ ـ دفعه أهل العلم الحوزويين ليكونوا بمستوى رسالة الثورة

الإسلامية ومتطلبات المعاصرة، حتى رأينا الكثير منهم يسهم إسهاما فاعلا في مجال التبليغ من طريق إثراء الفكر الإسلامي بكتاباته وخطاباته وحواراته.

٣ ـ إرسال مبلغين إلى مختلف أنحاء العالم في افريقيا وأوروبا واستراليا وأمريكا وكندا.

الشهيد الصدر (ت ١٤٠٠هـ):

كان (قده) يحمل هم التبليغ والمبلغين، وجل نتاجه الفكري أسهم في عملية التغيير في أسلوب التبليغ ووسائله وتربية المبلغين، ومن ذلك:

١ ـ رسالته العلمية (الفتاوى الواضحة) التي غير فيها تبويبا وطريقة عرض وأسلوب تعبير، لتكون في متناول اكبر عدد ممكن من المستفيدين منها.

٢ ـ تربيته العشرات من أهل العلم وتوزيعهم على مختلف الأماكن في العراق ليكونوا النمط الجديد في الوكلاء، من حيث القيام بمختلف أعمال التبليغ المقررة والمتاحة والمثمرة.

وقد كان هذا النمط أنموذجا موفقا في تطوير واقع التوكيل والتمثيل إلى مستوى يقتدى به.. وغيرها.

أما الثانية والأخيرة فهي قضية الوكالة، واعني بها تلك التي تعطى من المرجع إلى من يعينه وكيلا عنه في بلد ما لقبض الحقوق المالية الشرعية.

ولي هنا ملاحظتان مما يرتبط بموضوعنا «التبليغ الإسلامي»، وهما:

١ ـ إن الوكالة، وان كانت لقبض المال ولا يشترط فيها أكثر من توافر الأمانة في الوكيل، ولهذا قد يوكل المرجع من هو من غير أهل العلم كالتجار، إلا أن المرتكز في أذهان الناس أنها شهادة توثيق، ووثيقة تمثيل ديني، وهذا يتطلب من المرجع أن ينص فيها على مهمة التبليغ الديني وإلزام الوكيل القيام به في حدود المقدور، وعلى أفضل وجه ممكن.

أقول هذا لأن أكثر الوكالات الصادرة من المراجع، ممن عاصرناهم سابقا ونعاصرهم الآن، ليس فيها النص على ذلك.

وان كان هذا الإهمال لم يأت عن قصد من المراجع، إلا أنه ينبغي ألا يكون، لان الذي ينبغي أن يكون هو النص على التبليغ قبل ذكر التوكيل، وان يذكر باعتباره أهم ما يجب أن يقوم به الوكيل، وإنني على يقين بان المراجع سوف يقدرون هذه الملاحظة ويدرجون الأمر في أولويات اعتباراتهم ومهماتها.

٢ ـ إن من الوكلاء من هو ملء السمع والبصر في عمله وتقواه، وفي مستوى المسؤولية في مجال التبليغ، وله أعمال وأدوار في هذا المضمار تذكر له فتقدر وتشكر. ومنهم، وللأسف، من هو ليس كذلك.

ولأجل الخروج من عهدة المسؤولية أمام الله تعالى لا بد من وضع ضوابط وحدود لذلك.

وقد يكون من حلول المشكلة الإقلال من إعطاء الوكالات والتشدد عند منحها.

وكما كان علينا أن نعيد النظر في وضع الحوزات العلمية، علينا أن نعيد النظر في تعدد مرجعيات القيادة، وكذلك في أمور الوكالات.

فن التبليغ

الشيخ إبراهيم البدوي

تمهيد

١ ـ تعريف التبليغ:

معنى التبليغ لغوياً هو الإيصال، قال الجوهري:

[بلغ] بلغت المكان بلوغاً: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي قاربنه، وبلغ الغلام: أدرك، والإبلاغ: الإيصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه البلاغ.

وقال ابن منظور:

وبلغت الرسالة. والبلاغ: الإبلاغ. وفي التنزيل: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾(١)، أي لا أجد منجحي إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به. والإبلاغ: الإيصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه البلاغ.

وأما معناه الاصطلاحي فقد ورد له تعاريف كثيرة خلاصتها:

التبليغ: هو النفوذ إلى الفكر والإحساس لتعبئة الطاقات الفردية والجماعية، لأجل الوصول إلى هدف محدد.

والمقصود بـ «النفوذ إلى الفكر» الإشارة إلى الخطاب العلمي

---

(١) سورة الجن/ ٢٣.

الذي يحاكي العقل، وهو العنصر الغالب في عملية التبليغ، ومثاله المحاضرات والندوات. والمراد بـ(النفوذ إلى الإحساس) الخطاب العاطفي الذي يحاكي المشاعر والأحاسيس، ومثاله مجالس العزاء، وكلا الأمرين مطلوبان في التبليغ.

وأما (تعبئة الطاقات الفردية) فيراد منها إيصال الفرد إلى القناعة التامة بصحة الفكرة التي يطرحها المبلّغ وصوابيتها ليتحرك هذا الفرد على ضوئها وفي هداها مسخراً كل جهده للالتزام بها، بينما تكون «تعبئة الطاقات الجماعية» في توحيد القناعات الناشئة عند الأفراد، وبالتالي توحيد الطاقات الفردية من خلال الاقتناع بفكرة وحدة الموقف، وفكرة التنسيق في العمل بين الأفراد، وهو ما يسمى بالعمل الجماعي، ونبذ التفرد والتفرق.

وسيتضح المراد من «الهدف المحدد» من خلال استعراض أنواع التبليغ.

٢ ـ أنواع التبليغ:

للتبليغ نوعان أساسيان، هما:

١ ـ التبليغ الإلهي.

٢ ـ التبليغ غير الإلهي، وربما سماه البعض التبليغ الشيطاني.

ومنشأ هذا التنوع اختلاف الهدف من التبليغ، فإن كان الهدف منه الوصول بالمبلّغ إلى الكمال الإنساني من خلال اتباع التعاليم السماوية، وطاعة الله، والابتعاد عن معصيته تعالى، وإقامة وتثبيت

دعائم الحق والعدل في الناس كان التبليغ إلهياً، وإن كان الهدف منه أي هدف آخر كالسيطرة والتحكم بالبشر وبمقدرات الأمم والمجتمعات دون الأخذ بعين الاعتبار مبادئ العدل والحق ولا الدعوة إلى طاعة الله كان تبليغاً شيطانياً.

لذلك فإن التبليغ على وجه العموم هو وسيلة مشتركة لتحقيق الأهداف المختلفة. نعم قد يأخذ لنفسه أسماء مختلفة مثل التبشير والتوجيه والتوعية والتثقيف وغير ذلك.

ومن الغني عن البيان أنه كلما اطلعنا على فن التبليغ أكثر، وتعرفنا على وسائله ومناهجه وطرقه أمكن لنا إنجاح مساعي التبليغ الإلهي وإفشال مخططات التبليغ الشيطاني بشكل أسهل.

٣ ـ أهمية التبليغ

للتبليغ أهمية عظمى لا تصل إليها أهمية عمل آخر مهما جل وعظم، وتنشأ هذه الأهمية الخاصة من أمور:

أ ـ من أن الإنسان لا يتحرك إلا عن محرك ذاتي يحركه من داخله اسمه الإرادة، وهو لا يريد إلا إذا اقتنع بجدوى هذه الحركة وفائدتها بالنسبة له، وصدق بأنها صلاح له، وهو لا يمكن أن يقتنع بأية فكرة إلا إذا علم بها، فتصورها، وصدق بمحاسنها ومساوئها.

وبما أن التبليغ بنوعيه خير وسيلة للتعريف بالشيء وبيان أوصافه ومحاسنه أو مساوئ ما يقابله كان خير وسيلة لنشر الأفكار

والمعتقدات، وتعميمها على البشر وإقناعهم بها، بغض النظر عن صحة الفكرة وبطلانها، وهذا ما يسهل عملية التحكم بالأفراد وبالأمم إن على طريق الهداية أو على طريق الضلال.

وانطلاقاً من أهمية التبليغ في مختلف المجالات نجد تركيزاً شديداً في كلمات الدعاة والقادة والثوار والرؤساء.

قال رئيس أمريكا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية:

«إن أكبر وأهم حرب نخوضها هي حرب تسخير أذهان الناس»(١).

وقال لينين مؤسس الحكومة الاشتراكية:

«التبليغ والدعاية أعظم قدرات الدولة»(٢).

وكان نابليون يقول:

«إني لأخاف من صرير أقلام الكتّاب والصحفيين أكثر من خوفي من أزيز الرصاص»(٣).

ب ـ من أن التبليغ الإلهي عمل الأنبياء عليهم السلام أنفسهم، وهم خلاصة البشرية وعصارتها، وقد أرسلوا لهداية الناس عبر العمل التبليغي، فاعتماد هذه النخبة المستندة إلى منبع العلم الحقيقي، علم الله تعالى، إلى هذه الوسيلة في نشر الدين خير دليل على أنها تنطوي على أهمية بالغة جداً. قال تعالى متحدثاً عن نوح عليه السلام:

---

(١) روش تبليغ، رضا علي كرمي، ص٢٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾(١).

وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾(٢).

وقال عن هود عليه السلام: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(٣).

وقال عن صالح عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾(٤).

وعلى هذا النسق كان النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله واحداً من هؤلاء الأنبياء الكرام، ويعمل بعملهم، قال تعالى متحدثاً عنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...﴾(٥).

ج ـ من أن التبليغ الإلهي وهداية الناس إلى الحق وإنقاذهم من الضلال أعظم وأجل الأعمال قدراً وأجراً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾(٦).

وما يحصل عليه المبلّغ من الأجر مقابل هذا العمل لا يمكن أن تضاهيه كل الممتلكات الدنيوية.

---

(١) سورة الأعراف/ الآيتان ٦١ ـ ٦٢.
(٢) سورة الأعراف/ الآية ٩٣.
(٣) سورة هود/ الآية ٥٧.
(٤) سورة الأعراف/ الآية ٧٩.
(٥) سورة المائدة/ الآية ٦٧
(٦) سورة فصلت، الآية ٣٣.

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام حينما بعثه إلى اليمن:

«يا علي، لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله، لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس، ولك ولاؤه»[1].

بل يمكن القول أن أي أجر أخروي مهما كان كبيراً لا يصل إلى رتبة أجر المبلّغ، فقد روى معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له:

رجل راوية لحديثكم، يبث ذلك في الناس، ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، أيهما أفضل؟

قال عليه السلام: **«الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد»**[2].

وقال رسول الله ﷺ:

«ألا أحدثكم عن أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله على منابر من نور؟

فقيل: من هم يا رسول الله؟

قال ﷺ: **هم الذين يحببون عباد الله إلى الله، ويحببون عباد**

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٩، ص١٦٧.
(٢) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٣.

الله إلي. يأمرونهم بما يحب الله، وينهونهم عما يكره الله، فإذا أطاعوهم أحبهم الله»[١].

بل إن المبلّغ الإلهي مع أهل البيت في مرتبتهم، فقد ورد عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال:

«أشد من يتم اليتيم الذي انقطع من أمه وأبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه، ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرايع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، إلا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى»[٢].

٤ ـ تاريخ التبليغ

أول من قام بعملية التبليغ هو الله تعالى، وذلك حينما بلغ آدم تعاليمه، ونبهه من خطورة طاعة الشيطان ومضار الأكل من الشجرة.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

ثم قام بالتبليغ المضاد إبليس (عليه اللعنة) فبلغهما تبليغاً كاذباً ما يخالف تعاليم الله تعالى:

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، باب٨.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي، ج١، ص٧.

(٣) سورة البقرة/ الآية ٣٥.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ * فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١).

أما على مستوى البشر، فبما أن التبليغ هو عمل الأنبياء ووظيفتهم بالدرجة الأولى، فلا ريب أن وجوده على الأرض بدأ مع وجودهم، أي منذ عهد النبي آدم عليه السلام، حيث عمل على تبليغ أولاده مما علمه الله تعالى، وحذرهم من فعل الشيطان، ثم بدأ أولاده من بعده بهذه المهمة الجسيمة، قال الإمام علي عليه السلام في الخطبة الأولى من نهج البلاغة:

«وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ»(٢).

واستمر الحال إلى أن ختم الله مسيرتهم بمحمد صلى الله عليه وآله. ولا يزال التبليغ عملاً مستمراً من خلال الأئمة والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

ويختلف حال التبليغ لدى الأنبياء فيما بينهم في أمرين:

الأول: في المحور المركزي الذي كان تبليغهم يدور حوله، فبعد الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله الواحد كان تبليغ آدم عليه السلام يدور حول محور التحذير من الشيطان وإغواءاته.

---

(١) سورة الأعراف/ الآيات ٢٠ ـ ٢٢.

(٢) نهج البلاغة، ص٣٤.

وتبليغ نوح وإبراهيم عليه السلام حول محور محاربة عبادة الأوثان والشرك بالله.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(١).

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢).

ومحور تبليغ لوط عليه السلام القيمة الأخلاقية والابتعاد عن الفاحشة. قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾(٣).

ومحور تبليغ شعيب عليه السلام البعد الاقتصادي في المجتمع وتصحيح الموازين.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٤).

ومحور تبليغ صالح عليه السلام محاربة الترف والغرور، قال تعالى:

---

(١) سورة الأنعام/ الآية ٧٤.

(٢) سورة الأنبياء/ الآيتان ٦٦ ـ ٦٧.

(٣) سورة الأعراف/ الآيتان ٨٠ ـ ٨١.

(٤) سورة الأعراف/ الآية ٨٥.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ * ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[١].

ومحور تبليغ موسى عليه السلام إيجاد إصلاحات سياسية واجتماعية في المجتمع ومحاربة الاستكبار وإنقاذ المستضعفين. ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

ومحور تبليغ عيسى عليه السلام تركيز القيم الأخلاقية التي جاءت بها الكتب السماوية السابقة، وإصلاح الشريعة من تحريفات اليهود. قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٣].

وأما محور تبليغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكان جامعاً لكل المحاور المتقدمة، ولذلك كانت رسالته جامعة وخاتمة.

الثاني: في الوسائل التي كانوا يستخدمونها في عملية التبليغ،

(١) سورة الشعراء، الآيات ١٤١ ـ ١٥٢.
(٢) سورة الدخان/ الآيات ١٧ ـ ١٩.
(٣) سورة آل عمران/ الآيتان ٥٠ ـ ٥١.

فقد استخدموا بمجموعهم وسائل تبليغية مختلفة، منها الشعر والكتابة والخطابة والجدل.

جاء في البحار نقلًا عن عيون الأخبار وعلل الشرائع، أن رجلًا شامياً سأل أمير المؤمنين علياً عليه السلام في مسجد الكوفة عن أول من قال الشعر؟ فقال عليه السلام: **آدم**.

قال: وما كان شعره؟

قال: **لما أنزل من السماء إلى الأرض، فرأى تربتها وسعتها وهواها، وقتل قابيل هابيل**، قال آدم عليه السلام:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
وتغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح[1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عن شعيب: «**وكان شعيب أخطب الأنبياء**».

واشتهر إدريس عليه السلام بالكتابة، بل عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«**إنه أول من خط بالقلم**»[2].

وقضى رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثاً وعشرين سنة من عمره في التبليغ بكل الوسائل، فقد كان أبلغ الخطباء بياناً، وأقوى المناظرين حجة،

---

(١) عيون أخبار الرضا، الصدوق، ص١٣٣ ـ ١٣٧. وعلل الشرائع، الصدوق، ص١٩٧ ـ ١٩٩.

(٢) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص٢٦٤.

وأفصح المتكلمين لساناً، ولئن لم يكن شاعراً ولا كاتباً فقد استفاد من الشعراء والكتاب لتبليغ الإسلام في جميع أنحاء الأرض، فكان القدوة الأساسية لنا، قال تعالى مخاطباً نبيه الأكرم: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[1].

واليوم تطورت الوسائل التبليغية كما سيأتي بحيث صارت ذات قدرات عالية في إيصال الفكرة والإقناع بها أكثر مما سبق بآلاف المرات، فكما أنه يمكن القول بأن الفساد والانحراف تضاعف في هذا العصر، ولكن إمكانية الهداية والتبليغ الإلهي تضاعفت أيضاً من خلال تطور وسائله وأدواته، وسنفرد لذلك بحثاً خاصاً، إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة النحل/ الآية ١٢٥.

الفصل الأول

الهدف من التبليغ الإلهي

ليس للتبليغ الإلهي هدف سوى إيصال البشر إلى الكمال الإنساني حيث السعادة الأبدية، سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي، وهو الهدف الأسمى الذي من أجله بعث الأنبياء، وأنزلت الكتب السماوية، ووضعت الشرائع، وسُنت القوانين الإلهية.

وبما أن الوصول إلى هذا الهدف البعيد دفعة واحدة غير ممكن، كان لا بد من التدرج في بلوغه، لذلك كان هناك أهداف جزئية ومرحلية تصب كلها في خانة الهدف النهائي، مثل الهداية إلى الله تعالى، والدعوة إلى التوحيد، وإظهار الأحكام الشرعية لتعبيد طرق الطاعة، وسد طرق المعصية، وبيان الصفات الإلهية للتخلق بمكارم الأخلاق، والتنزه عن الرذائل ومساوئ الخصال... إلخ.

ولذلك قد يتمكن المبلّغ من إيصال بعض الناس إلى بعض هذه الأهداف دون بعضها الآخر، وليس في ذلك ضير، فكلما اقترب الإنسان من الكمال النهائي كلما كان ما حققه المبلّغ من نجاح أكبر، فلا بد في سلوك أية طريق من الشروع في السير في مراحلها الأولى، وكما قيل:

رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة.

ومجرد نجاح المبلّغ في وضع قدم المبلّغ على الطريق الصحيح وتجنيبه الطرق المنحرفة يعد نجاحاً كبيراً يستحق المبلّغ عليه غاية الإجلال والتكريم.

شبهة عامة:

يخيل للبعض أن الهدف من التبليغ هو هداية الناس، بمعنى إيصالهم إلى الهدى وحملهم على طاعة الله تعالى، ولذلك تراهم مغمومين إن لم يتمكنوا من هداية أحدهم، والحق أن الهدف من التبليغ هو البيان والإخبار وإقامة الحجة، وأما الهداية نفسها فهي عمل الله تعالى. قال تعالى مخاطباً المبلّغ الأعظم رسول الله ﷺ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[3].

ويتحقق الهدف من التبليغ بإيصال الفكرة، وتبيينها وإقناع الناس بها وتحبيبهم لها، فإذا فعلنا ذلك فقد تمت مقدمات الهداية من قبلنا، وعلى الله الباقي، تماماً كما يزرع الفلاح الأرض، ويسقي الزرع، ويترك أمر إخراج النبات إلى الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٢٧٢.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ٢٠.

(٣) سورة الغاشية/ الآيتان ٢١ ـ ٢٢.

الفصل الثاني

المبلَّغ عنه

التبليغ نوعان: عام وخاص:

التبليغ العام:

هو التبليغ الإلهي المعبر عنه بالتبليغ الديني الذي يكون المبلَّغ عنه هو الله تعالى، وليس سواه. قال تعالى:

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾[١].

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ...﴾[٢].

وبملاحظة قداسة المبلَّغ عنه كان التبليغ الديني عملية مقدسة في حد ذاتها، وكانت عمل الأنبياء الأساسي كما أشرنا.

وهو تبليغ عام لجميع البشر، من حيث عمومية الخطاب الإلهي لكل عباده.

---

(١) سورة الجن/ الآية ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب/ الآية ٣٩.

وقد يكون التبليغ الديني خاصاً لقوم دون قوم بملاحظة خصوصية فيهم تستدعي ذلك، ولكن ذلك لا يخرجه عن كونه تبليغاً هاماً بالقياس إلى النوع الثاني من التبليغ، أي التبليغ الخاص.

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾(١).

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾(٢).

ولا يخفى أن من هو مؤهل ليبلغ عن الله تعالى هو إما الأنبياء والرسل حيث يؤمرون مباشرة، ومن خلال الله تعالى، بالقيام بهذه الوظيفة، وإما العلماء والصحابة والتابعون والوعاظ والدعاة، ممن لهم أهلية القيام بهذا الدور المقدس السامي، حيث يؤمرون به بأمر عام من خلال القرآن الكريم ومن خلال كلمات الأنبياء والرسل. وهذا ما سنتعرض له في معرض حديثنا عن المبلّغ إن شاء الله تعالى.

التبليغ الخاص:

وهو التبليغ البشري الذي يكون المبلّغ عنه هو أحد أفراد البشر كما هو الحال في تبليغ البيانات والرسائل التي يرسلها الملوك والخلفاء والوزراء، بل حتى الأفرد العاديون. ولا علاقة لنا هنا بهذا النوع من التبليغ كما هو واضح.

(١) سورة الأعراف/ الآية ٨٥.

(٢) سورة هود/ الآية ٦١.

الفصل الثالث

المبلّغ

يمكن الحديث عن المبلّغ على نحوين، فتارة نتحدث عن أدنى ما يشترط في المبلّغ بحيث إن تخلف أحد الشروط يخرجه عن أهلية القيام بهذه الوظيفة الإلهية، وأخرى نتحدث عن المبلّغ النموذجي الذي ينبغي أن يتصف بصفات كثيرة ليكون مبلغاً مثالياً، بحيث لو تخلف بعض الشرائط عنه لا يخرج عن أهلية التبليغ، وإنما يخرج عن كونه مبلغاً نموذجياً.

من هنا سنعقد البحث في عنوانين أساسيين:

أ ـ صفات المبلّغ. ب ـ المبلّغ النموذجي.

أ ـ صفات المبلّغ

هناك مجموعة شرائط لا يمكن لأي مبلغ الاستغناء عن أي منها، وهي:

١ ـ المعرفة:

أن يعرف مضمون الرسالة التي يحملها، ويريد إيصالها إلى الآخرين، أي عليه أن يكون عالماً بما يريد تبليغه.

فالمبلّغ الإسلامي عليه أن يتزود من المعرفة والعلم الإلهي ما أمكن ليكون ملماً بتفاصيل ودقائق الأمور، فإن الجهل ببعضها يضعف قدرته على الإقناع في أحيان كثيرة.

ولا حاجة هنا للحديث عن فضيلة العلم والتعلم، فإنه من نافلة القول، ولكننا سنشير باختصار إلى نوعين من المبلّغين:

النوع الأول: هو من يحمل علماً محدوداً، مهما كثر، فيكون مجرد وعاء له، يملأه بالتعلم والمطالعة، ثم يقوم بإفراغه بين الناس في دروس وخطب ومواعظ. وهذا شأن المبلّغين الجدد حديثي العهد بالقيام بهذه الوظيفة الإلهية.

فعلى أفراد هذا النوع أن يكثروا من التزود، وأن يمتلأوا من المعلومات لكي يتمكنوا أن ينجحوا، كما أن عليهم أن لا يتركوا المطالعة، فلا بد لهم من تخصيص ساعة واحدة على الأقل كل يوم للقراءة، والاطلاع على معلومات جديدة خشية النفاد.

ومن أمثلة هذا النوع من يحفظ الفتاوى المحددة، ثم يقوم بقراءتها على الناس أو نقلها كما هي دون التمكن من أن يعرض لأي فرع لم يقرأه، بخلاف ما لو كان مجتهداً، أو على الأقل متمرساً في علم الفقه، فإنه يتمكن من تطبيق القواعد العامة والمباني الفقهية المعتمدة لدى الفقهاء على مصاديقها والتوصل إلى معرفة أحكام لم يقرأها بعينها.

النوع الثاني: من يحمل علماً متجدداً، فيكون بمثابة البئر التي تنبع بماء جديد كل آن، وهؤلاء هم أرباب الفكر وأصحاب الخبرة

والتجربة، وذوو الرأي الذين يمكنهم أن يولّدوا بجودة رأيهم وقوة اجتهادهم ودقة نظرهم في المعلومات الموجودة لديهم معلومات أخرى لم يقرأوها في كتاب، ولم ينقلوها عن قائل بعينه، وهي مع ذلك معلومات صحيحة استنبطوها من معلوماتهم الأساسية المرتكزة في أذهانهم.

ومن أمثلة هذا النوع المجتهدون والفقهاء في مجال التشريع والفتوى، وكذلك من أجاد ضبط اللغة العربية، وفهم الذوق العام للتشريع الإسلامي، فإنه يتمكن من معرفة تفسير الآيات القرآنية دون أن يرجع إلى كتب التفسير، فيكتفي بمطالعة الآية ليجعل منها موضوعاً تبليغياً عالي الجودة معتمداً على المعلومات العامة التي لديه، والتي لا تخرج عن الإطار العام للتفسير.

من هنا نخرج بنتيجة هامة، وهي أنه من الضروري أن لا يكتفي المبلّغ بتعلم القليل من المعلومات والاكتفاء ببعض العلوم، بل عليه أن يتوسع في الاطلاع ليصل إلى درجة الاجتهاد إن أمكن، أو على الأقل يصل إلى درجة الفضل.

وبحسب سلم الدراسة الحوزوية لا بد لهذا النوع من إكمال «السطوح» والبدء بدراسة «البحث الخارج».

وبحسب الدراسة الأكاديمية لا بد له من إكمال الدراسات العليا أو على الأقل نيل الإجازة.

٢ ـ الإيمان بما يقوله ويعرفه

لن يتمكن المبلّغ من إقناع أحد بأمر ما ما لم يكن هو نفسه

مؤمناً به إيماناً ثابتاً. وخير شاهد ودليل على إيمانه بما يعلمه عملُه والتزامُه به. من هنا كان دور العمل إلى جنب العلم في غاية الأهمية، وإلا فإن العلم بدون عمل لا يزيد صاحبه إلا بعداً عن الله تعالى. بل هو في معرض الزوال والاضمحلال.

قال الإمام علي عليه السلام: **«العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل. والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»**[1].

والإيمان في التبليغ الإسلامي يشمل الإيمان بالإسلام والمذهب الحق، ويشمل كل مفردة من مفردات التبليغ العقائدية والفقهية والأخلاقية وغير ذلك.

في حديث عن الإمام علي عليه السلام:

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه»[2].

تخيل لو أن المبلّغ وقف يخطب في الناس متحدثاً عن حرمة الكذب وضرورة تجنبه، ولكنهم لمسوا منه مراراً تعمد الكذب، كيف له أن يقنعهم بما قاله لهم؟

والتبليغ بالعمل والسيرة أبلغ بكثير من التبليغ بالقول، قال الإمام الصادق عليه السلام:

«كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاح والخير، فإن ذلك داعية»[3].

---

(١) نهج البلاغة، ج٤، حكمة رقم ٣٦٦.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) ميزان الحكمة.

وليعلم المبلّغ أن عمله مراقب جداً من قبل المحيط الذي يعيش فيه، ويعمل على تبليغه وهدايته، فما يعمله يعد في نظرهم تشريعاً، فهم يقلدونه في ما يقوم به إن خيراً فخير وإن شراً فشر. ولا يمكنه أن يفهمهم أنه استثناء عنهم، ولا أن يقنعهم أن ما يقوم به مختص بشخصه. ولولا الوحي والنص القرآني لم يتمكن رسول الله ﷺ من إثبات بعض الخصوصيات له كزيادة زوجاته على الأربع.

دخل الإمام علي عليه السلام في البصرة على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعة داره قال:

«ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا؟ أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج، وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة».

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكوا إليك أخي عاصم بن زياد.

قال عليه السلام: وماله؟

قال: لبس العباءة، وتخلى عن الدنيا.

قال عليه السلام: عليَّ به.

فلما جاء قال: **«يا عدي نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك.**

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك.

قال: **ويحك، إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره»**[1].

أرأيت كيف احتاج علي عليه السلام أن يشرح ما للإمام من خصوصية لإصلاح الفهم الخاطئ الذي تولد لدى عاصم بن زياد من سلوكه عليه السلام في الزهد؟

٣ ـ الاطلاع على طرق وأساليب التبليغ

ويكون ذلك بدراسة فن التبليغ ومعرفة وسائله وطرقه ومناهجه وأسسه، والتمرس والتمرين على الأداء الصحيح.

قال الإمام علي عليه السلام:

«تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ. وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الأَمْرِ»[2].

لقد علمه ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فسار على هديه وخط لناطريقاً لنقتدي به في سلوكه.

فكلما أتقن المبلّغ أصول الصنعة، وألمّ بقواعدها، وأتقن تطبيقها وتنفيذها كلما كان أقدر على قطف ثمار النجاح وبلوغ الهدف.

---

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي(ع) ج٢، ص١٨٧.
(٢) نهج البلاغة، ص٢٧٤.

فمن الضروري في هذا المجال الاطلاع على سيرة المبلّغين الناجحين كالأنبياء والأئمة، عليهم السلام، والتعرف على مسلكهم وإجاباتهم وطريقة محاججتهم، واساليبهم في الدعوة ليتولد لديه معرفة شاملة وخبرة واسعة.

كما يُنصح في هذا المجال قراءة كتاب الاحتجاج للطبرسي وسيرة العلماء الأعلام الذين تمكنوا من النجاح في عملهم في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

٤ ـ معرفة المخاطبين

لمعرفة المبلّغين معرفة جيدة الأثر الكبير في نجاح المبلّغ في عمله، وهو ما سيوفره لنا الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

٥ ـ الوعي والذكاء بالقدر الكافي

إن العلم وحده لا يكفي ما لم يزدان بذكاء وحنكة تساعد صاحبه على فهم الأمور وإدراكها على نحو صحيح، بحيث يستطيع تقدير الأمور بدقة، فيعرف متى يقول، ومتى يسكت، ومتى يصارح، ومتى يداري. ويتمكن من معرفة الوقت المناسب، والطريقة المناسبة لقول ما يجب قوله.

فقد يكون لدى المبلّغ فكرة أو معلومة صحيحة في نفسها، ولها قيمة علمية عالية، ولكن البوح بها يؤدي إلى خلل معين في عقيدتهم، أو على الأقل في فهمهم لشخصية المبلّغ، فيسيؤون فهمه، ويتوهمون ما ليس فيه من آفات وعيوب.

فعندما تحدث أحد المبلّغين بحماس في محاضرة عن تعدد الزوجات، وعدد فوائده على المجتمع، فهم بعض الحاضرين أنه يريد أن يتزوج امرأة أخرى مع زوجته، فحاولوا التدخل لإصلاح ذات البين.

وقد يسيء المبلّغ نفسه فهم البعد الديني لبعض الأحكام، فيتمسك بها على ظاهرها دون أن يدرك عمقها الحقيقي، وحدودها والفرق بينها وبين ما يشابهها. فتراه يتمسك بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[1] ليصطدم بالناس دون الاستماع إلى النصيحة ولا قبول النقد البناء. وتراه يخلط بين حرمة المداهنة واستحباب المداراة، أو لا يتمكن من التفريق بين المواقف الشجاعة والمواقف المتهورة.

قال الإمام علي عليه السلام في وصف آل رسول الله صلى الله عليه وآله، في إشارة إلى أهمية ضم الوعي إلى العلم:

«عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ»[2].

٦ ـ القدرة على بيان ما لديه من أفكار، إما بالقول والخطابة أو بالخط والكتابة

فالعلم مخزون في النفس كما الماء في البئر، ولا بد في استخراجه من وسيلة كالكلام الشفوي، ومنه الخطابة والتدريس والمحاججة، أو كالخط، ومنه التأليف والكتابة.

---

(١) سورة المائدة/ الآية ٥٤.

(٢) نهج البلاغة، ص٥٧٤.

فمن كان غير قادر على أي من الوسيلتين كان عاجزاً عن إيصال علمه للآخرين. فهو محدود النفع، وعليه أن يدرس بعض وسائل التعبير ليصل إلى النجاح.

وسيأتي مزيد بيان لهذا الأمر إن شاء الله تعالى في الباب الثاني عند الحديث عن وسائل التبليغ.

٧ ـ التحرر من التبعية للمخاطب

من الآفات العظيمة التي تصيب المبلّغ أنه قد يتبع بعض أهل الدنيا، ويتأثر بهم سواء كانوا أغنياء أو زعماء، وحينها سيفقد قدرته على التأثير فيهم، ثم يفقد قدرته على التأثير بغيرهم.

إن هؤلاء المبلّغين يتحولون إلى وعاظ السلاطين أو وعاظ النخبة. وقد ورد في حقهم ذم شديد.

ففي حين يرون لأنفسهم في ذلك فضلاً ومقاماً عالياً في ذلك، كما كان الشاعر أحمد شوقي يقول:

شاعر البلاط وما بالقليل ذا اللقب.

يرى الناس فيهم ضعفاً ومهانة، وتخرج محبتهم من القلوب على قاعدة.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«واعلموا أنه من خضع لصاحب سلطان الدنيا أو من يخالفه في دينه طلبا لما في يديه من دنياه أخمله الله ومقته عليه ووكله إليه، فإن

هو غلب على شئ من دنياه فصار إليه منه شئ نزع الله البركة منه، ولم يؤجره على شئ ينفقه منه في حج ولا عتق ولا بر»[١].

وعن الباقر عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله كان حامده من الناس ذاما، ومن آثر طاعة الله بما يغضب الناس كفاه الله عداوة كل عدو وحسد كل حاسد وبغي كل باغ وكان الله له ناصرا وظهيرا»[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أتى ذا ميسرة، فتخشع له طلب ما في يديه، ذهب ثلثا دينه»[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«إذا رأيتم العالم محبا لدنياه فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشئ يحوط ما أحب».

وقال عليه السلام: أوحى الله إلى داود عليه السلام: «لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، فإن اولئك قطاع طريق عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم»[٤].

وعنه أيضاً عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) الأمالي ـ الشيخ المفيد، ص١٠٠.
(٢) مشكاة الأنوار ـ علي الطبرسي، ص٥٤٧.
(٣) البحار: ٧٣/ ١٦٩/ ٥.
(٤) الكافي ـ الشيخ الكليني، ج١، ص٤٦.

«الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل: يا رسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟

قال: اتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم»[١].

ولا بد من الإلفات إلى أن الارتباط بالناس دون الوصول إلى مرحلة التبعية لهم أمر مطلوب، وذلك لأنهم يرون أنفسهم حينئذ ملزمين بالدفاع عن المبلّغ وحمايته وتسهيل نجاح مهمته، ولا يتخلون عنه في ساعة الشدة.

ب ـ المبلّغ النموذجي

بالاضافة إلى كل الشرائط التي مر ذكرها في المبلّغ لا بد من توفر عدد من الصفات والخصال الطيبة الأخرى فيه ليتمكن من أن يصل إلى رتبة «المبلّغ النموذجي»، وهي:

١ ـ التوكل على الله

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٢].

والمقصود من التوكل هنا أن يعمل لله دون أن يكون همه النجاح

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الزمر/ الآية ٣٨.

أو الفشل، فإذا نجح فبنعمة الله لا بمهارته وخبرته، وإن فشل فبتقصيره وقلة استعداده.

فعليه عند كل مناظرة أو خطبة أو أي عمل تبليغي آخر أن يتوكل على الله، ويسند أمره إليه، ويطلب منه التوفيق، وينوي التقرب إليه في عمله هذا، ولا يطمح ببصره إلى المنافع المادية، ولا إلى المقام والمنصب، ولا إلى مدح الناس وإثارة إعجابهم.

فإذا فعل المبلّغ كل ذلك، وهو مستيقن أن النجاح والتوفيق من الله تعالى، كان متوكلًا على الله تعالى، وحق على الله تعالى أن لا يخذل من توكل عليه.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«من توكل على الله لا يغلب، ومن اعتصم بالله لا يهزم»[(١)].

٢ ـ الكفاءة العلمية العالية

وهي هنا المعرفة والاطلاع، فلا يمكن لمبلغ أن يبلغ شيئاً ما لم يعرفه جيداً، ويطلع عليه وعلى ما يحيط به من أفكار وإشكالات وردود وأدلة وبراهين وأمثلة وشواهد ونظائر ومؤيدات ومعاكسات... الخ.

ولا ريب أن ما يحتاجه المبلّغ من العلوم هي علوم القرآن بالدرجة الأولى ثم علوم العقيدة وعلوم الفقه وعلوم الأخلاق ثم علوم التاريخ والسيرة وسائر المواد الثقافية المختلفة.

---

(١) النيسابوري، روضة الواعظين، ص٤٢٥.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

تكثر من العلوم لتعرف، وتقلل منها لتحفظ[(١)].

٣ ـ الوعي العلمي والسياسي والاجتماعي

والمقصود بالوعي الاحاطة بمجريات الأمور ومعرفة لوازمها الفاسدة وحسن تقدير الأشياء ومعرفة محاسنها ومساوئها، وهذا أمر يختلف عن العلم نفسه، فإن العلم معرفة عدد كبير من المعلومات وهو أمر متيسر لكل أحد. ففرق كبير بين الوعي العلمي والعلم، إذن هو مزيج من الذكاء وحسن التدبير وجودة التقويم والتقدير وحسن التصرف.

فقد يلجأ أعداء الإسلام إلى وسائل خبيثة تخفى على المبلّغ غير الواعي، فيوقعونه في حبائلهم، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، بينما يلتفت الواعي إلى سلبيات الأمور، ويتعامل معها بكل حنكة وتدبر.

قال تعالى محدثاً عن قصة مسجد ضرار:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[(٢)].

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ص١٤١.

(٢) سورة التوبة/ الآيتان ١٠٧ ـ ١٠٨.

وقصة هذا المسجد معروفة مشهورة، حيث يذكر المفسّرون: أنّ بني عمرو بن عوف كانوا قد بنوا مسجد (قبا) وسألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه، فصلّى ﷺ فيه.

إلا أن جماعة من بني غنم بن عوف وهم منافقون حسدوهم، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قبا ليضروا به المؤمنين، لذا سمي مسجد ضرار، وليتجمع أهل النفاق فيه، ويجعلوه منطلقاً لتآمرهم، وإنتظاراً لزعيمهم الفاسق (أبو عامر الراهب) الذي وعدهم بمجيء جيش من الروم ليقاتلوا به جميعاً النبي ﷺ ويخرجوه من المدينة...

ولقد أتموا بناءه والرسول ﷺ يتجهّز لغزوة تبوك، فجاءوا إليه وقالوا:

(يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الممطرة، والليلة الشاتية... وسألوه أن يصلّي فيه، ويدعو لهم بالبركة، فوعدهم إلى الفراغ من أمر تبوك والرجوع إلى المدينة).

ثمّ نزلت الآيات الأنفة الذكر، وعندئذ أرسل ﷺ من يهدمه ويحرقه حتى أصبح مكاناً للجيَف والنتن...

لأول وهلة يبدو أن في الأمر عملاً عبادياً تربوياً، وهو بناء مسجد للعبادة، ولم يكن أحد ليلتفت إلى أنه مسجد للمضارّة وللكفر بالله ورسوله، ولتفريق المؤمنين المجتمعين في قبا، وتمهيداً لمجيء أبي عامر الراهب المحارب لله ولرسوله...

ولكن الرسول ﷺ التفت إلى ذلك، ولم يتورع عن الأمر بهدمه وإحراقه، وكأن المراد ضرب الرقم القياسي ولسان حاله يقول:

«الحذر حتى من مثل بناء المساجد، والمواجهة حتى بتهديمها وحرقها».

واليوم هنالك حركات وجمعيات وأحزاب ومؤسسات ومنظمات ومذاهب ودول تظهر الحرص، بل الحرص الشديد على رسالة الوحي الإلهي، وما هي إلا أدوات ومعاول لضرب الدين وتقويض أركان الرسالة وتشويه صورة العاملين الحقيقيين، وطعن رجاله الأبرار، هذا هو الضرر والضرار والإضرار...

ولكم يستوقفني قول الإمام الخميني ﵀:

«لو قالت أمريكا لا إله إلا الله فلا تصدقوها».

فالحذر الحذر أيها المبلّغون الواعون.

٤ ـ الخبرة وطول التجربة

للخبرة دور كبير في تكوين جودة الفهم وجودة التقدير وجودة التصرف، وكلما كان المبلّغ أكثر خبرة كلما أحسن العمل، وحصد نجاحاً أكبر، ولهذا ينبغي أن يرتضي المبتدأون من المبلّغين بالقليل من النجاح ريثما تزداد خبرتهم، وعليهم أن يستفيدوا من خبرات من سبقهم، ويستمعوا إلى كلماتهم ونصائحهم.

وقد أشرنا إلى أهمية قراءة سيرة هؤلاء العلماء العاملين الناجحين والوقوف على أساليبهم وطرقهم.

٥ ـ حسن الخلق

وهو يشتمل على عدة أمور، منها:

أ ـ الحلم:

ويحتاجه المبلّغ ليتحمل جهل الجاهلين، وأسئلة بعض السفهاء الذين يحبون أن يمتحنوا المبلّغ وكأنهم أعلى رتبة منه، وكذلك ليتجاوز عن السفائف وصغائر الأمور والنزاعات الشخصية والخلافات العائلية التافهة، ويركز اهتمامه على الهدف الأسمى الذي يعمل له، فلو كان المبلّغ ضيق الصدر سريع الانزعاج لانشغل بالتفاهات عن الأمور الخطيرة.

ب ـ الكتمان

كثيراً ما يأتي بعض الناس للمبلّغ بأخبار ومعلومات خاصة، إما على سبيل الوشاية، أو سبيل الاستنصاح وأخذ الرأي، فلو أنه أذاع بعض هذه المعلومات لأدى ذلك إلى نشوب خلافات ومشاكل لا حصر لها، فينبغي له أن يتحلى بصفة الكتمان، ولا يذيع أي خبر مما بلغه علمه عن الناس وأمورهم الخاصة، وهو بذلك يكسب ثقة الجميع، ويتمكن من جذبهم والتأثير فيهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

---

(١) سورة التوبة/ الآية ٦١.

ج - البشاشة

الابتسامة التي ترتسم على وجه محدثك توحي إليك بالراحة والاطمئنان، بينما يوحي العبوس وتقطيب الحاجبين بالسوء ويولد انزعاجاً وقلقاً. فيحسن بالمبلّغ أن يقابل الناس ببشاشة وأن يبتعد قدر الإمكان عن التجهم. ولا يتخيلن أن التجهم يعطي للإنسان مقاماً وهيبة، أو يظهره بمظهر الإنسان الجاد المتزن، فهذا علي عليه السلام لم يكن في عالمه من هو أكثر جدية منه ومع ذلك كان يعيب عليه خصماؤه أنه كثير الدعابة[1].

فإذا رافق الابتسامة دعابة فهو أفضل ما لم يخرج المبلّغ عن صورة الشخص السوي. فكثير من الناس، وخصوصاً الشباب يحبون المفاكهة، ويمكن أن تشكل مدخلًا إلى قلوبهم.

فعن الفضل بن أبي قرة قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: **«ما من مؤمن إلا فيه دعابة، قلت: ما الدعابة؟ قال: المزاح»**[2].

د - حسن القول

يمكن لنا أن نعبر عن الشيء الواحد بأسلوبين من التعبير، أحدهما يسيء إلى الآخرين والآخر يحسن إليهم، وكلا التعبرين يؤديان المعنى ذاته، إذن لماذا لا نقصر ألسنتنا على التعابير الحسنة التي تنم عن باطن طيب ونية حسنة؟

(١) الفضل بن شاذان، الإيضاح، ص١٦٣.
(٢) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص١٦٤.

رووا أن ملكاً رأى في نومه أن أسنانه سقطت، فطلب من مفسر الأحلام أن يأوّل له هذا المنام، فقال له: الأسنان هم الأقارب، وسقوطهم يعني موتهم، إذن، يا أيها الملك سيموت أقرباؤك كلهم في حياتك.

فانزعج الملك أيما انزعاج من هذا التأويل، وأمر بحبس المفسر. ثم طلب مفسراً آخر، فسأله عن المنام نفسه، فقال له:

تأويله أن جلالة الملك سيعيش عمراً أطول من سائر أقربائه. فأمر له بجائزة.

فكما ترى، المضمون واحد ولكن العبارة اختلفت فاختلفت الآثار معها.

قال تعالى:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[1].

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[2].

هـ ـ الصبر

إن أحوج ما يحتاجه المبلّغ الصبر والقدرة على التحمل وعدم اليأس من الظفر، وذلك لأن المصاعب التي يواجهها كثيرة وجمة، وهي لا تذلل إلا بالصبر والتحمل.

---

(١) سورة المؤمنون/ الآية ٩٦.

(٢) سورة فصلت/ الآية ٣٤.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[(١)].

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[(٢)].

ومن المناسب هنا إلفات النظر إلى خطورة إصابة المبلّغ باليأس والقنوط من إمكانية تحقيق الهدف وفقدان الأمل بجدوى العمل، وهذا ما تتسبب به أمور عدّة، أهمها:

١ ـ طول الطريق وبعد الشقة:

لا يقاس العمل الرسالي بالزمن، إذ ربما يحتاج النجاح إلى العمل لأجيال متعاقبة، فما على المبلّغ إلا أن يقوم بدوره في الزمن الذي يعيش فيه، فإن بلغ الهدف فهو، وإلا فلا ييأس، ويواصل السير ليأتي من بعده من يكمل المسيرة.

والذي يتابع مسيرة الدعوة السماوية في القرآن الكريم يشاهد استمرارية حلقاتها، وتواصل أدوارها، وترابط أهدافها المرحلية بالهدف الأقصى في سلسلة طويلة رغم العمق الزمني وطول المسافات، وبعد الطريق، ومحدودية الاستجابة، بل رغم اليأس من الاستجابة في بعض الموارد، ومع ذلك فإن التكليف يستمر، ويجب أن يستمر العمل معه، ولا تسقط المسؤولية بحال.

فقنوط نوح عليه السلام من قومه بعد ما يقرب من ألف سنة من التبليغ لا يعني النهاية، بل انطلاقة جديدة، وبنفَس جديد بعد حصول

(١) سورة الأحقاف/ الآية ٣٥.

(٢) سورة الكهف/ الآية ٢٨.

الطوفان وتبدل المجتمع. وهلاك بعض الأمم بدعوة أنبيائهم لا يعني استقالة الأنبياء من دورهم الرسالي، بل الشروع من جديد في أمم جديدة. ويأس النبي موسى عليه السلام من حمل قومه على الجهاد لدخول الأرض المقدسة لا تعني سوى تكرار المحاولة مع أولادهم بقيادة وصيه يوشع بن نون، وهكذا... عمل دؤوب، وأمل لا ينتهي.

٢ ـ محدودية الاستجابة:

حين يرى المبلّغ إعراض الناس عن الحق وتكذيبهم له، وقلة الناصر وكثرة العدو، وضعف الامكانيات ومحدودية الاستجابة يبدأ اليأس بالتسرب إلى نفسه، وهنا تكمن الخطورة. فالله تعالى قطع على نفسه وعداً بالتدخل المباشر حينما يبلغ الأمر هذا المبلّغ، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(١).

ربما استيأسوا من استجابة البعض لهم، ولكنهم لم يشكوا في صدق دعوتهم، ولم ييأسوا من النجاح، ولا من نصر الله تعالى لهم.

جاء في عيون أخبار الرضا بإسناده عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى وذكر الحديث إلى أن قال فيه..

قال المأمون لأبي الحسن:

---

(١) سورة يوسف/ الآية ١١٠.

فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ...﴾.

قال الرضا عليه السلام: يقول الله عز وجل:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾(١).

٣ ـ توالي الانتكاسات واشتداد الأمر:

إنّ توالي الهزائم وتكرر الانتكاسات في مسيرة العاملين له مرارة عظيمة في النفوس وتأثير سلبي على العزائم والمعنويات، فيحبط الآمال، ويوهن الأرواح، ويخمد جذوة الحماس، ويزلزل الثقة، ما قد يُنتج لدى البعض يأساً وقنوطاً.

ولا يقتصر دور المبلّغ الرسالي على عدم يأسه، بل أن لا يسمح لليأس بالتسرب إلى نفوس الناس، وذلك عندما يرونه شامخاً واثقاً من نصر الله تعالى يسير بكل ثبات أمام الجمع رغم كل المصاعب والمخاطر المحدقة.

قال تعالى عن لسان النبي يعقوب عليه السلام:

﴿...وَلَا تَا۟يْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢).

ووعد عباده وعداً قاطعاً فقال:

(١) عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج٢، ص١٧٩.
(٢) سورة يوسف/ الآية ٨٧.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾(١).

فبعد الهزيمة المرة التي مني بها المسلمون في أحد، ومقتل قائدهم العسكري الحمزة بن عبد المطلب، وإصابة النبي بجروح عديدة، وسريان إشاعة قوية بأنه قتل، وفرار المقاتلين من كل حدب وصوب، ثم مجيء أحزاب المشركين لحسم الأمر والقضاء على الإسلام في عقر داره تغلغل اليأس إلى نفوس الكثيرين، وأيقنوا أن ما وعدهم به النبي لم يكن سوى أوهام، حتى قال أحدهم لصاحبه:

يعدنا كنوز كسرى، وما يقدر أحدنا يخرج يتخلى(٢).

ولكن رسول الله ﷺ كتب إلى أبي سفيان كتاباً يجيبه فيه على رسالة تهديد ووعيد أرسلها إليه في تلك الفترة العصيبة، فقال له بكل ثقة بالله ونصره:

«من محمد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب، أما بعد فقديماً غرك بالله بالغرور، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه، ويجعل

---

(١) سورة غافر/ الآية ٥١.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢٠، ص٢٧٠. وإليك الرواية:
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما حفر رسول الله صلى الله عليه وآله الخندق مروا بكدية فتناول رسول الله صلى الله عليه وآله المعول من يد أمير المؤمنين(ع) أو من يد سلمان رضي الله عنه فضرب بها ضربة فتفرق بثلاث فرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لقد فُتح عَلَيَّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر**»، فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا كنوز كسرى وقيصر وما يقدر أحدنا يخرج يتخلي.

لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى. وأما قولك: من علمك الذي صنعنا من الخندق؟ فإن الله ألهمني ذلك لما أراد من غيظك وغيظ أصحابك، وليأتين عليك يوم تدافعني بالراح، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك»(١).

إن الفشل الذريع هو في تغلغل اليأس والقنوط في نفوس القادة، وهو أشد مرارة من كل الهزائم. فاليأس من روح الله عز وجل أشد برداً من الزمهرير، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام(٢).

ولا أزال أعجب من قول النبي موسى عليه السلام، حينما خرج بقومه من مصر، فبلغ بهم اليم، ولحقهم فرعون بجنوده حتى كادوا أن يدركوهم، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾(٣).

لقد كان المصير أمامهم واضحاً كالشمس، البحر من أمامهم وفرعون من خلفهم، فأين المفر؟ لذا ظنوا أن موسى قادهم إلى حتفهم بأبشع الصور، وندموا على طاعته والخروج معه في هذه الرحلة المشؤومة، ولكنهم فوجئوا برده حين قال لهم بكل ثقة واطمئنان:

﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾(٤).

وأكاد أقطع جازماً بأنه لو تردد النبي محمد صلى الله عليه وآله في مواجهة

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الخصال، الصدوق، ص٣٤٨.
(٣) سورة الشعراء/ الآية ٦١.
(٤) سورة الشعراء/ الآية ٦٢.

أبي سفيان يوم الأحزاب لشك الناس في دينهم، وربما انقلب عليه غالب من معه، وقربوه إلى أبي سفيان هدية.

ولو تردد موسى عليه السلام للحظة في جوابه، ولمسوا منه أدنى شك في نصر الله لقتلوه شر قتلة، وعادوا إلى فرعون يتقربون إليه بدمه ودم هارون، معلنين التوبة، مبايعين بالعبودية له ولقومه إلى الأبد، ولن تقوم لهم بعدها قائمة لمئات السنين على الأقل.

كم هم عظماء هؤلاء الأنبياء!

و - الشجاعة

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1].

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»[2].

والمقصود من الشجاعة الجرأة على إعلان الموقف الحق ومواجهة أرباب البدع، فجرأة الموقف، وجرأة قول كلمة الحق تحتاج إلى شجاعة أكثر بكثير من مواجهة الأعداء في ساحة القتال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية ٣٩.

(٢) أصول الكافي، ج١، ص٥٤.

«أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[(١)].

ز ـ القناعة

ويراد من القناعة أن يكتفي بما يسهّل عليه أمور مهمته التبليغية دون أن يطمح ويعمل للحصول على الغنى بما يشكل عائقاً أمام مهمته. ولا يكون ذلك إلا بأن يخلص لله في نيته بأن يكون عمله لله، لا يريد عليه أجراً، فإن أصاب شيئاً من المال أخذه وشكر الله تعالى عليه، وإن فاته ذلك صبر، وقنع بما تيسر، وشكر الله على توفيقه في نجاحه في عمله المقدس، وهو تبليغ رسالات الله تعالى.

قال تعالى في حديث النبي نوح عليه السلام:

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[(٢)].

ومثله في حديث أنبياء كثيرين مثل هود وصالح وشعيب، عليهم السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«اجعلوا أمركم لله، ولا تجعلوه للناس، فإن ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله»[(٣)].

واللطيف في الأمر أن المبلّغ الذي يعمل لله بالروحية التي أشرنا إليها موعود بالحصول على الدنيا والآخرة، ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

---

(١) غوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج١، ص٤٣٢.
(٢) سورة هود، الآية ٢٩.
(٣) الكافي، ج١، باب الهداية من الله.

من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة)[١].

ولا يخفى أن المبلّغ النموذجي لا يمكنه أن يجمع بين خلق التجار وخلق المبلّغين، وهو خلق الأنبياء، فالتاجر يحسب الأمور المادية بكل دقة، ثم لا يتنازل عن شيء، فهو يحسب الربح والخسارة ويقرر موقفه على ضوء النتيجة، بينما النبي يعلم بأنه قد يخسر مادياً لكي يحقق نجاحاً صغيراً من الناحية التبليغية، ومع ذلك يعفو ويغفر، ويسامح بحقه، ويعطي ويجود بالكثير مما لديه، ولا يهمه إن شكل ذلك خسارة مالية له.

ح ـ التواضع

وذلك بأن لا يرى لنفسه الفضل على الناس، فلا يغتر ولا يتكبر، ولا يرى نفسه سوى طالبٍ صغير، لا يزال يستزيد من العلم. ويرى للناس عليه فضلًا خصوصاً للعلماء الذين هم أكبر منه قدراً وعلماً وسناً، وعلى الأخص أساتذته ومعلموه.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من لا يرى لأحد فضلاً فهو المعجب برأيه»[٢].

وعنه أيضاً عليه السلام:

«من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس، وأن تسلم على

---

(١) بحار الأنوار، ج٢، آداب الرواية.

(٢) الحياة، ج١، ص١٥٧.

من تلقى، وإن تترك المراء وإن كنت محقاً، وأن لا تحب أن تحمد على التقوى»[١].

ومن التواضع المرغوب به هنا أن يذهب المبلّغ إلى مخاطبه، ولا ينتظره حتى يأتي إليه، فهو هنا كالطبيب الأب الذي يريد أن يداوي ابنه لا كالطبيب الذي يداوي عامة الناس، فإن جاءوا إليه داواهم، وإلا لا يكترث بهم.

وقد كان رسول الله ﷺ يأتي الناس في دورهم وأحيائهم وقراهم يدعوهم إلى الإسلام والتوحيد، حتى قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام:

«طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَمْضَى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ من ذلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوب عُمْيٍ، وَآذَان صُمٍّ، وَأَلْسِنَة بُكْم; مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ»[٢].

٦ ـ حسن التدبير:

الإدارة علم وفن ينبغي أن لا يفوت المبلّغ الإلمام به، والتدبير لا يعني سوى حسن الإدارة وجودة السياسة فإذا تولى مهمة إدارة احتفال خطط له بشكل صحيح، وإذا قرر إقامة نشاط ترفيهي معين فعليه أن يدرس كل دقائق الأمور ليعد لها العدة، ويتخذ تجاهه ما يلزم من المواقف والاستعدادات، حتى تؤتي أكلها. أما العمل

(١) الكافي، ج٣، ص١٨٦.
(٢) نهج البلاغة، ومن خطبة له في ذكر رسول الله(ص).

الفوضوي أو شبه الفوضوي الذي يلتزم به البعض تحت عنوان: التوكل على الله، فهو على خلاف رأي الشرع، وليس من التوكل في شيء.

ورد في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسنين عليهما السلام:

«أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ»[1].

٧ ـ حب الناس:

إن عمل المبلّغ عمل إنساني من الدرجة الأولى، وهو كما أسلفنا استمرار لعمل الأنبياء، عليهم السلام، وهم جاءوا لإنقاذ بني البشر من الضلالة، فينبغي أن يحب الناس ويحرص عليهم. قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

٨ ـ الحذر من الهدايا والوعود المعسولة:

ومن الأمور التي ينبغي للمبلّغ الإلتفات إليها أن بعض الناس يعملون على التسلط عليه بطريقة سلسة وذكية دون أن يشعر بهم، وذلك كأن يحاولوا في بداية الأمر أن يقدموا أنفسهم له كأشخاص مهمين في المجتمع أو في الدولة أو في مؤسسات هامة تجذب اهتمام

(١) نهج البلاغة، وصية رقم ٤٧.
(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

المبلّغ وتحرك أطماعه، وربما تقربوا إلى قلبه بهدية ظريفة، حتى إذا أخذها منهم صار لهم عليه يد تخولهم أن يتصرفوا معه بكل راحة. فإذا بلغت الهدايا والمساعدات مبلغاً مهماً لم يعد بمقدور المبلّغ أن يردع صاحبها عن غلط قام به أو يصلح له خطأ ارتكبه. بل ربما تنتهي الأمور إلى محاولة الإملاء على المبلّغ وتوجيهه بما يخدم أهدافهم.

ولقد مارس خصوم الإسلام هذه الطريقة من خلال عناوين متعددة كالإغراء بالمال أو الملك أو الزعامة والسلطان، لإيقاع العناصر المؤمنة في فخاخهم.

يحدثنا القرآن الكريم وكتب السيرة والتاريخ عن محاولات عديدة من هذا القبيل طالت حتى الأنبياء، عليهم السلام.

فقد تعرض النبي سليمان عليه السلام لمحاولة شبيهة حينما كاتب بلقيس ملكة سبأ يدعوها إلى الإسلام، قال تعالى:

﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[1].

فأرسلت له بهدية عظيمة بهدف استكشاف حقيقة الموقف فقالت:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[2].

فماذا كان جواب النبي سليمان عليه السلام؟

(١) سورة النمل، الآية ٣١.

(٢) سورة النمل/ الآية ٣٥.

ثبت على موقفه الهادف، ولم يقبل منها ألا أن تأتيه وقومها مسلمين، وهذا الذي حصل.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[1].

وجاء في سيرة ابن هشام أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً من سادات قريش، كان قد رأى النبي ﷺ جالساً وحده في جوار البيت، فقال:

(يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟

قالوا: بلى، قم إليه، يا أبا الوليد).

فقام إليه عتبة وجلس إلى جنبه، وقال له:

يا بن أخي، إنك منا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بشيء عظيم فرّقت به جمعهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفّرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها. يا بن أخي، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الأمر يأتيك رئياً لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.

(١) سورة النمل/ الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.

ومضى عتبة بن ربيعة يتحدّث إلى النبي ﷺ بأسلوب هادئ ليّن محاولًا إغراءه وإقناعه بالعدول عن دينه، والتراجع عن دعوته، والنبي ﷺ يستمع إليه، فلمّا انتهى من حديثه، قال له النبي ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟

قال: نعم.

قال ﷺ: اسمع مني.

فأصغى إليه وهو يطمع أن يجد عنده ما يرضي قريشاً وأطماعها وكبرياءها. فقال ﷺ:

بسم اللهِ الرحمن الرحيم

﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ...﴾[١].

ومضى رسول الله ﷺ يتلو عليه ما بقي من السورة حتى انتهى إلى السجدة فخرّ لله ساجداً ورفع رأسه واتجه إلى عتبة، وقال:

«أسمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم إلى بعض:

نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا: ما ورائك يا أبا الوليد؟.

---

(١) سورة فصلت، الآيات ١ ـ ٥.

قال: ورائي أنني سمعت قولًا ما سمعت مثله قط)...[1].

عقبات تنتظر المبلّغ

تمارس القوى الضالة والمنحرفة أساليب عدة للصد عن الإيمان والإعراض عن الحق، تأخذ أشكالًا مختلفة تختلف بحسب حال المبلّغ الذي يواجهونه، فيضعون أمامه العراقيل المختلفة التي تحول دون نجاحه في عمله، فإذا كان على بينة من أمره عالماً بأساليب خصومه كانت المواجهة عليه أسهل وفرص النجاح لديه أكبر، من هذا الباب كان لابد من وضع مجموعة من نماذج العقبات التي تنتظر المبلّغ ليعد لها العدة ولا يؤخذ على حين غرة.

أولاً: التشكيك في الهدف

أول ما يفكر به هؤلاء من أساليب التشكيك لمواجهة العمل الرسالي أسلوب المناقشة والحوار على قاعدة بذر مجموعة من التساؤلات أمام العوام حول الهدف الذي ينحو المبلّغ نحوه، ثم مواجهة المبلّغ بها ليأخذ بالدفاع عن نفسه ويظهر بمظهر المتهم الذي يحتاج إلى ما يبرؤه من تهمهم، ويثبت مدعاه في مقابل تكذيبهم.

قال الله تعالى في الحديث عن موسى وحواره مع فرعون:

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ * قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾[2].

(١) سيرة ابن هشام، ج١، ص١٩٠.
(٢) سورة طه/ الآيات ٥٦ ـ ٥٨.

هنا يتهم فرعون موسى عليه السلام بأنه ذو مصلحة دنيوية أراد من خلال دعوى النبوة الوصول إليها وهي أن يتسلط على بلاد مصر، ويخرج منها فرعون وقومه، وبالحوار والمناقشة حاول فرعون إدخال هذه الشبهة إلى قلوب من حوله ليبعدهم عن موسى وأخيه عليهما السلام.

ويذهب النبي موسى عليه السلام في المواجهة إلى آخرها، ويقبل التحدي، ويواجه السحرة، وهو على بينة من ربه، وحينما تسقط ورقة السحر من يد فرعون، وتستيقظ الفطرة الكامنة في نفوس السحرة، وتصحو ضمائرهم، وتتنوّر أفكارهم بالحقّ الذي رأوه، وأنه ليس بسحر لما عرفوا من أمره، يبقى فرعون مصراً على ضلاله وكفره، معتزاً بملكه وسلطانه، مدافعاً عن كيانه وجبروته فيتهم السحرة بالتعاون مع موسى عليه السلام والتآمر عليه، فيتهدد، ويتوعد، ويأبى الإيمان مع وضوح الحقّ لديه، ويخسر أحد أهم أسلحته.

ثانياً: تأليب الرأي العام

ربما يتذرّع هؤلاء في رفضهم الدعوة إلى الحق بما يثير حفيظة الناس، ويحركهم ضد المبلّغ لا على قاعدة اتباع الحق والرضوخ إلى البرهان بل على أساس من العصبية للوطن أو القومية أو العشيرة أو القبيلة وما شابه ذلك، فيركزون مثلاً على أنّ الذي ورثوه من آبائهم من معتقدات وأفكار وتقاليد، هي التي تمثّل الصواب، وليس هنالك ما يستدعي تبديلها وتغييرها، ذلك أنّ عهد الآباء ومتبنّيات الأجداد هي الحقّ الذي ينبغي عدم تركه أو التنازل عنه..

يقول الله، عزّ وجلّ، فيما ذهب إليه هؤلاء في معرض نقاشهم:

﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1].

وتكون طريقة المواجهة هنا بالتركيز على ضرورة اتباع الحق لا اتباع الرجال، فالرجال قد يخطؤون وقد يصيبون. قال علي عليه السلام:

«اعرف الحق تعرف أهله»[2].

﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[3].

ويتم التركيز في الجواب على أن هناك طريقاً أهدى مما كان عليه آباؤهم، ولعل عبارة أهدى توحي بأن ما كان عليه آباؤهم فيه شيء من الهداية، ولكن الحق أن هذا نوع من التعبير يراد منه عدم إثارة العوام برفض ما كان عليه آباؤهم رفضاً قاطعاً على قاعدة:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4].

فالنبي لم يشك للحظة بأنه على هدى، ولكن أسلوب الحوار يستدعي عدم مواجهة الخصم بطريقة فجة قاسية أملاً في كسب وده ليستمر في الحوار لإيصاله إلى النتيجة المرغوبة.

---

(١) سورة الزخرف/ الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) بشارة المصطفى، الطبري، ص٢٢.

(٣) سورة الزخرف/ الآية ٢٤.

(٤) سورة سبأ/ الآية ٢٤.

ثالثاً: التكذيب

والتكذيب أسلوب يستخدمه المفلسون فكرياً الذين لا حيلة لهم أمام منطق الحق الالهي، وهو يعبر عن الانهزام أمام قوة الحجة، وعن ضعف الجواب ووهن الفكرة، وبالتالي الفشل في الحوار الهادئ القائم على أسس العقل والمنطق السليم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾(١).

لاحظ، أخي القارئ، كيف نسب هذا النوع من الرفض إلى المترفين، هؤلاء لا يملكون حجة ومنطقاً وعلماً، ولا يهتدون السبيل للمواجهة على قاعدة الحوار، هؤلاء يدرسون الأمور بحسب نتائجها، فإذا كانت النتيجة لصالحهم أخذوا بها، وإلا رفضوها ولو بدون دليل.

من هنا فإن طريقة مواجهة هؤلاء بالإعراض عنهم، والاستمرار في العمل الهادف حتى يتم تقويض كل وسائل المقاومة لديهم، عندها تختلف نظرتهم إلى الأمور، ويعيدون تقويم أوضاعهم على أساس من الواقع الجديد.

وربما يكون التكذيب باتهام المبلّغ بالكذب الصريح، قال تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة سبأ/ الآية ٣٤.

(٢) سورة المؤمنون/ الآية ٣٨.

وإذا سقطت مزية الصدق لدى شخص صار من الصعب عليه إقناع الناس بما يقول، فيحتاج إلى إثبات صدقه إلى وسائل نافعة كأن يستشهد بأنه لم يكذب من قبل قط، أو يبرهن على صدقه إن أمكن البرهان عليه، أو يباهل المكذبين له أو يحلف أنه صادق. . .إلخ.

وفي قصة مباهلة النبي لنصارى نجران خير شاهد على ما أشرنا إليه.

رابعاً: كتمان الحق

كثير هم الذين يراوغون ويخاتلون، وكثير هم الذين يناورون، ويتجاهلون ما يعرفون، وكثير هم الذين يتنكرون لمعرفة الحق رغم وضوحه عندهم، ورغم تجليه لنفوسهم ورغم بيانه بصورة لا لبس فيها لهم، إنه العناد والإصرار على الباطل.

لقد مارس أهل الكتاب وخاصة اليهود منهم عملية كتمان الحق تجاه الإسلام وما جاء به النبي محمد ﷺ رغم أنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، لقد انتابتهم الخيبة وتملكهم الحسد لأن محمداً ﷺ لم يكن منهم، مع علمهم بصحة الرسالة وصدق الرسول ﷺ، فكتموا هذه الحقيقة، ووقفوا ضدها وحاربوها. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

ويتكرر الخطاب مرة أخرى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

(١) سورة البقرة/ الآية ٤٢. (٢) سورة آل عمران/ الآية ٧١.

ومرة ثالثة مقروناً بالتهديد:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن كل ثمن مادي يحصل عليه في مقابل كتم الحق يعد ثمناً قليلًا، بل لو أعطيت لهؤلاء الدنيا وما فيها لكان ثمناً قليلًا مقابل ما كتموه من الحق. وفي هذه الآية إشارة إلى أن سبب كتم الحق الحصول على بعض المكاسب الدنيوية كالمنصب والجاه والمال، وكل ذلك ثمن قليل في مقابل ما وعدوا به من الثواب الأخروي على الإيمان والتصديق.

فلا يستبعد المبلّغ أن يواجه أشخاصاً يحلفون الأيمان المغلظة على إنكار الحقائق التي يعلمونها إخفاء لها لمجرد أنهم يرون في ذلك مصالحهم ومنافعهم الدنيوية، فعليه أن لا يكترث، وأن يستمر بالعمل مستعيناً بالله تعالى.

خامساً: التحريف والافتراء

تأتي عملية التحريف ضمن سياق التأويل المفتعل المناقض لما هو مطروح أصلًا، إذ يُحمّل الكلام مفهوماً غير الذي يتضمنه، وذلك في عملية مغالطة منطقية ترمي إلى تشويه الحقيقة.

ولقد مُورست على هذا الصعيد ممارسات لئيمة تعبر عن حالة

---

(١) سورة البقرة/ الآية ١٧٤.

نفسية سقيمة، وذلك خلال التحايل على اللفظ، والتلاعب بالمفهوم خاصة فيما إذا كان اللفظ حمالاً لأكثر من وجه، قال تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾(٢).

وذلك أنهم يفسرونه بما هو غير مقصود، ويبدلون الحقائق الواردة في كتبهم وفق أهوائهم، يحرمون حلال الله، ويحللون حرامه تبعاً لما ينسجم مع رغباتهم، ويحقق مصالحهم ومشتهياتهم...

سادساً: الانتقاص

وذلك من خلال نسبة المبلّغ إلى أمور يعدها المجتمع نقصاً وعيباً ككونه إنساناً عادياً أو جاهلاً أو ضالاً أو من عائلة خاملة أو كونه فقيراً وما شابه ذلك. قال تعالى:

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾(٣).

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۞ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا...﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٧٥.
(٢) سورة النساء/ الآية ٤٦.
(٣) سورة القمر/ الآية ٢٤.
(٤) سورة الفرقان/ الآيتان ٤١ ـ ٤٢.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ. . .﴾(١).

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾(٢).

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(٣).

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾(٤).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾(٥).

والإفك لغة: هو كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٢٤٧.

(٢) سورة هود/ الآية ٢٧.

(٣) سورة زخرف/ الآية ٣١.

(٤) سورة زخرف/ الآيات ٥١ ـ ٥٣.

(٥) سورة الفرقان/ الآية ٤.

(٦) سورة القمر/ الآية ٢٥.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[1].

إن هذه الاتهامات الظالمة لا تدوم، وسرعان ما ينكشف باطلها، ولا يحتاج الأمر سوى الصبر والمثابرة لأن الحق كالعطر مهما أخفي فسيضوع ريحه وينتشر.

عقد زعماء قريش مؤتمراً للتخطيط لمنع تأثير الرسول ﷺ على وفود الحجاج التي تفد سنوياً إلى مكة للتبرك بزيارة الأصنام، وأداء طقوسهم الدينية، حيث قال قائلهم الوليد بن المغيرة:

يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا (يعني محمداً ﷺ)، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد بعضكم بعضاً.

قالوا: فأنت، يا أبا عبد شمس، فقل. وأقم لنا رأياً نقول به.

قال: بل أنتم فقولوا، أسمع.

قالوا: أنقول: كاهن.

قال: لا، والله، ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن، ولا سجعه.

قالوا: فنقول: مجنون.

قال: ما هو مجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته.

---

(١) سورة الذاريات/ الآية ٥٢.

قالوا: فنقول: شاعر.

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر.

قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحّار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم.

قالوا: فما نقول إذن، يا أبا عبد شمس؟

قال: والله، إن لقوله لحلاوة، وأن أصله لعذق، وإن فرعه لجنان، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر[1]، يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته...[2].

سابعاً: الإعراض والتجاهل

والمقصود المقاطعة وعدم حضور مجالس المبلّغ وعدم الاستماع إليه ودعوة الآخرين إلى أتباعهم في ذلك، ومن ذلك وضع الأصابع في الأذان عند سماع صوت الحق واستغشاء الثياب والتشويش بكل وسائله كتخريب وسائل الإعلام وقطع التيار الكهربائي لمنع الخطابة، واصطناع المشاغبات لإفساد المجلس، وغير ذلك كثير.

وقد حدثنا القرآن الكريم عن بعض هذه الألاعيب فقال على لسان النبي نوح عليه السلام:

---

(١) نعم، إن بيانه لساحر، ألم يقل(ص): إن من البيان لسحراً.

(٢) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٤، ص١٠٦.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[١].

وقال عن مشركي مكة:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[٢].

إن هذه الأعمال ألاعيب صبيانية، وهي في نتيجتها مؤشر جيد، لأن لازمها كسب المبلّغ للشريحة العاقلة الواعية التي تعرف أن هذه الأعمال لا تعني إلا صوابية ما يقوله.

نصائح هامة للمبلّغ

بعد النظر إلى تجارب الكثير من المبلّغين أمكن لنا الخروج بالنصائح المختصرة التالية:

١ ـ الابتعاد عن مواضع التهمة ما أمكن فإن تواجده فيها يؤدي إلى سوء ظن الناس به وبالتالي يفقد قدرته على التأثير فيهم.

من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء الظن به.

ومن ذلك على سبيل المثال:

أ ـ عدم إبداء الرغبة في تشكيل جلسة درس للأخوات، بل ينتظر حتى يُطلب منه ذلك.

---

(١) سورة نوح/ الآيات ٥ ـ ٧.

(٢) سورة فصلت/ الآية ٢٦.

ب ـ عدم الاختلاء بامرأة من غير محارمه في السيارة أو المصعد وما شابه ذلك، بل عدم المشاركة في جلسة مع الأخوات ما لم يكن الحضور ثلاثاً فما فوق.

ج ـ الحذر من أخذ الصور الفوتوغرافية مع شخص واحد مهما يكن.

د ـ عدم إعارة ثيابه أو عمامته لأحد.

هـ ـ عدم الجلوس في أماكن عمل الناس، كالدكاكين ونحوها.

و ـ إن أيد شخصاً أو فكرة أو مشروعاً فليذكر الدليل على صوابية ذلك.

ز ـ تسجيل الخطب المهمة على أشرطة والاحتفاظ بها لوقت الحاجة.

ح ـ عدم التحدث في جلسات التبليغ عن قضاياه الخاصة ومشاكله المالية والاجتماعية.

٢ ـ التركيز على الشباب والأحداث، لأن هؤلاء أفضل تلقياً وهم المستقبل.

عن الصادق عليه السلام: **«عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كل خير»**(١).

فإن أفلح المبلّغ مع القوم الذين يبلغهم فبها ونعمت، وإلا فإنه يضمن النجاح المستقبلي بالتركيز على الشباب.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٣، ص٢٣٦.

٣ ـ عدم طرح إشكال أو شبهة ثم تأجيل الجواب إلى الجلسة القادمة خوفاً من عدم تمكن كل من سمع الشبهة من الحضور فيبقى عالقاً فيها.

٤ ـ عدم قول ما لا يعلم ولا كل ما يعلم، بل يكتفي بقول ما يلزم قوله مما يعلمه.

٥ ـ الحذر من الركون إلى الأفراد الذين يكثرون من مدحه، ويحرصون على تقييم كلامه وخطبه، ولو بتقييم حسن، فإن هؤلاء يحضرون أنفسهم للهجوم والنقد.

٦ ـ التقليل ما أمكن من المزاح واللهو وقول المطايبات في موضع التبليغ.

قال الإمام علي عليه السلام:

«من كثر مزاحه استخف به».

إكثار المزاح والمطايبة في الأمر الجايز مذموم لما ذكر من الاستخفاف والاستهزاء والسخرية به وأما أصل المزاح فليس بمنهي عنه مع الأصدقاء والأحباء ومزاحه عليه السلام ومزاح رسول الله صلى الله عليه وآله مشهوران حتى قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا قال: **«إني أمزح ولا أقول إلا حقا»**[1].

قال العلماء المنهي عنه من المزاح ما يسقط المهابة والوقار ودل على قلة العقل وخفته وأما الذي سلم من هذا فهو الذي كان

(١) شرح أصول الكافي ـ مولي محمد صالح المازندراني، ج١١، ص٢٥٤.

النبي ﷺ يفعله وكذلك الوصي على الندرة لمصلحة وتطييب نفس المخاطب ومؤانسته وهو مستحب. (ومن كثر ضحكة ذهبت هيبته) إكثار الضحك مذموم لذهاب هيبته وخوفه وتوقيره وتعظيمه عن القلوب وأما أصله فليس بمنهي عنه لما مر وقد روي أن النبي ﷺ إن ضحك لم يعلُ صوته لغلبة ذكر الموت وما بعده وكان أكثر ضحكه التبسم وقد يفتر أحيانا ولم يكن من أهل القهقهة[١].

وقال ﷺ: **«ما مزح امرؤ مزحة إلا مج من عقله مجة»**[٢].

وقال ﷺ: **«من كثر مزاحه لم يخل من حاقد عليه ومستخف به»**[٣].

وقال ﷺ: **«من كثر مزاحه قلت هيبته»**[٤].

وقال ﷺ: **«من كثر مزاحه استجهل»**[٥].

وقال ﷺ: **«من كثر مزاحه استحمق»**[٦].

٧ ـ الحذر من الأخذ بالشائعات، وعدم إبداء الرأي ولا أخذ الموقف قبل التأكد.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي(ع) حكمة ٤٥٠، ج٤، ص١٠٤.

(٣) عيون الحكم والمواعظ ـ علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٤٣٥.

(٤) المصدر السابق، ص٤٢٤.

(٥) المصدر السابق، ص٤٥٣.

(٦) المصدر السابق، ص٤٥٤.

الفصل الرابع

المبلّغ

كلما عرف المبلّغ مخاطبيه على نحو أفضل كلما تمكن من التوغل فيه نفوسهم وإقناعهم بما يلزم. فليس كل الناس على نمط واحد، فقد يحتاج بعضهم إلى أسلوب مغاير لما يحتاجه الآخرون، وقد لا ينفع مع البعض منهم ما ينفع مع غيره. كل ذلك يتطلب معرفة النفوس وخصائصها واحتياجاتها.

ومما يساعد على معرفة المخاطبين على أكمل وجه معرفة الأمور التالية:

أ ـ اللغة:

قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1].

وذلك بأن يجيد المبلّغ لغة القوم الذين يبلغهم ليتمكن من إيصال أفكاره إليهم بالطريقة الصحيحة دون الوقوع في أخطاء التعبير، وليستطيع تجنب سلبيات التعبير الخاطئ.

---

(١) سورة إبراهيم/ الآية ٤.

تأمل هذه الحادثة الطريفة:

عندما جاء الأخوة أفراد الحرس الثوري إلى لبنان عام ١٩٨٢ عملوا على تبليغ الناس ودعوتهم إلى الإلتزام الديني الثوري، وكان من برامجهم عرض بعض الأفلام السنمائية عن الحرب العراقية الإيرانية وعن جهاد الشعب الإيراني المسلم.

وفي إحدى القرى تقرر عرض فيلم مؤثر ضمن نشاط العمل النسائي، فكان لا بد من الإعلان في المسجد ليحضر الأخوات هذا الفيلم. فتطوع أحد الأخوة الإيرانيين لإعلان الدعوى، فقال:

سيعرض الليلة فيلم مهيِّج للأخوات.

استنكر الحضور هذا الكلام، وما فهموا مقصده.

أراد هذا الأخ استخدام كلمة «هيجان أنكيز» الفارسية، والتي تعطي هنا معنى «مؤثر»، فترجمها ترجمة حرفية إلى العربية بكلمة «مهيِّج» دون أن يدري ماذا تحمل هذه الكلمة من معنى سيء في أذهان الناس، حيث لا يستخدونها إلا بمعنى الهيجان الجنسي.

صارت هذه الحادثة طرفة يتندرون بها في مجالسهم.

فكم من فرق بين ما قاله هذا الأخ وما كان ينبغي قوله، وهو:

ندعو الأخوات لحضور الفيلم المؤثر الذي سيعرض هذه الليلة)؟!

ب ـ مقاماتهم ومراتبهم العلمية والاجتماعية.

وذلك ليضع الناس مواضعهم، فلا يبخسهم حقوقهم، وليتمكن من مخاطبتهم بما يليق بهم. قال النبي ﷺ:

«إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[١].

فما قد يقع به المبلّغ من أخطاء في هذا المجال نوعان:

الأول: قد يرفع مستوى الخطاب في المخاطبين العاميين، فلا يفهمون مراده، ولا يدركون مقصده، لأنه يقول ما هو فوق مستوى فهمهم. ولذلك كان الأنبياء يخاطبون الناس حسب أفهامهم لا حسب أفهام الأنبياء.

الثاني: قد يهبط مستوى الخطاب في المخاطبين المتعلمين المثقفين بما يظهره أمامهم جاهلًا أو ضعيفاً.

قال رسول الله ﷺ ـ بعرفة في حجة الوداع ـ :

«نصر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها غيره، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٢].

من هنا كان التعرف على مستويات المخاطبين العلمية يساعد المبلّغ كثيراً في معرفة ما ينبغي قوله، فيتبع الأسلوب الملائم لهم.

وإذا اختلط القوم، فاجتمع المتعلمون والعاميون، كان على المبلّغ أن يقوم بأحد أمرين:

الأول: أن يعتمد أسلوب الوسطية في الخطاب، فيتحدث بما يفهمه الجميع، ويضمن كلامه ما يعده المتعلمون جديداً ومفيداً لهم.

---

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٨٠.

(٢) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي، ج١، ص٢٢١.

الثاني: أن يقدم الفكرة العميقة الجديدة، ويتبعها بشرح وتوضيح كافيين ليستفيد منها العالم والجاهل منها.

ج ـ عاداتهم وتقاليدهم.

قد يؤدي الإخلال ببعض العادات إلى حصول نفور بين المبلّغ والمخاطبين، وهذا يشكل عائقاً رئيسياً أمام نجاح المبلّغ.

وقد حصل لبعض العلماء أن تواضع عندما صعد إلى المنبر، فلم يرقَ سوى إلى بعض درجاته الأولى، ففهم الناس أنه ليس بالمستوى العلمي الكافي الذي يؤهله أن يخطب فيهم، لأن عادتهم كانت تقضي بأن يجلس العالم على الدرجة العليا من المنبر، بينما يجلس المبتدأون في درجات دنيا.

إن عادتهم هذه لا تسمح لهم أن يفهموا ما قام به هذا العالم على أنه تواضع، ففات عليه ما أراده، ووقع بما لا يريده.

الفصل الخامس

فحوى البلاغ

ما يحتويه الخطاب هو كل ما يحقق الهدف، فبينهما ارتباط وثيق. وما يحتاجه تحقيق الهدف ثلاثة اشياء أساسية مترتبة على بعضها البعض، هي:

١ ـ هدم الباطل، ولنسمه المحتوى النقضي.

٢ ـ بناء الحق، ولنسمه المحتوى التبييني.

٣ ـ الدفاع عن الحق، ولنسمه المحتوى الدفاعي.

١ ـ المحتوى النقضي

بما أن الإقناع بالفكر الإلهي لا يتيسر مع وجود أفكار منحرفة وضالة تقوم بعملية تشويش وتشكيك للشخص المراد هدايته، فلا بد من المرور أولا بمرحلة هدم تلك الأفكار الباطلة وصولاً إلى بناء صرح الفكرة المحقة، وذلك على الطريقة القائلة:

«التخلية ثم التحلية».

ويتم النقض من خلال تسليط ضربات مركزة على نقاط الضعف الموجودة في الفكرة المنحرفة، وذلك من خلال الأمور التالية:

١ ـ بيان الأسس الضعيفة التي تقوم عليها الفكرة الضالة:

فيتم تسليط الضوء على هذه الأسس، وإظهار وجه الضعف فيها ليحصل التشكيك بها عند حامليها، فيسهل الإجهاز عليها والدعوة إلى رفضها، قال تعالى معلماً أنبياءه هذه الطريقة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[٢].

فبين لهم في هذه الآيات أن بناء الموقف العقائدي على أسس الاعتماد على تقليد الغير بناء ضعيف، وذلك فيما إذا كان الغير جاهلاً، فإن تقليده سيؤدي إلى الوقوع في الجهل والضلال.

جاء في الاحتجاج أنه لما فرغ أبو عبد الله عليه السلام من الطواف أتاه الزنديق (المنكر لوجود الله تعالى)، فقعد بين يديه، ونحن مجتمعون عنده.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: **«أتعلم ان للأرض تحتا وفوقا؟** فقال: نعم.

قال: **فدخلت تحتها؟** قال: لا.

(١) سورة البقرة/ الآية ١٧٠.
(٢) سورة المائدة/ الآية ١٠٤.

قال: **فهل تدري ما تحتها؟** قال: لا ادري إلا أني أظن أن ليس تحتها شيء.

فقال أبو عبد الله: **فالظن عجز ما لم تستيقن.**

ثم قال له: **صعدت إلى السماء؟** قال: لا.

قال: **أفتدري ما فيها؟** قال: لا.

قال: **فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟** قال: لا.

قال: **فالعجب لك، لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الارض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهن، وأنت جاحد بما فيهن، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف»؟!**

فقال الزنديق: ما كلمني بهذا غيرك[1].

٢ ـ التحذير من الوقوع في المفسدة:

وذلك من خلال بيان اللوازم الفاسدة التي تترتب على الفكرة الباطلة وما يلزم الإيمان بها من مضار. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2].

وعن عيسى بن عبد الله القرشي قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام، فقال:

---

(١) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٧٣.

(٢) سورة المائدة/ الآية ٩١.

«يا أبا حنيفة، قد بلغني انك تقيس! فقال: نعم.

فقال عليه السلام: **لا تقس، فإن أول من قاس إبليس، لعنه الله، حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فقاس بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف ما بين النورين، وصفاء احدهما على الآخر»**(١).

فأظهر في الآية أن الخمر والميسر يوقعان العداوة والبغضاء، وفي الحديث أن القياس يوقع في مفسدة عظيمة، وهي الخطأ في التقدير، وعدم إدراك الواقع.

٣ ـ الإلفات إلى عدم تحقيق المصلحة، وذلك من خلال إظهار عدم تناسب الفكرة الباطلة مع أهداف وآمال حاملها:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾(٢).

فإن الإنسان لا يعبد الآلهة إلا لأنه يخافها أو يرجوها، فإذا انتفت هذه المصلحة كما في عبادة الأوثان زال اندفاعه إلى عبادتها، وأدرك سفاهة رأيه، وضعف موقفه.

٤ ـ الإجهاز على الفكرة الباطلة من خلال ذكر موارد بطلانها:

وذلك بذكر مورد واحد على الأقل تتخلف فيه، ولا تنطبق عليه، فمن المعلوم أن كل قضية كلية تنتقض بتخلفها ولو مرة واحدة،

---

(١) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي، ج٢، ص١١٧.
(٢) سورة مريم/ الآيتان ٤١ ـ ٤٢.

فيكفينا ذكر مورد واحد لا تنطبق عليه القاعدة حتى نهدم كليتها. قال تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(١).

ربطوا الإيمان بالرسول بصدقه، وهذا صحيح، ثم زعموا أن الحكم بصدقه أو كذبه مبني على المجيء بقربان تأكله النار، فنقض لهم هذا الزعم بذكر مورد حصل فيه المجيء بالقربان، وثبت الصدق، ولكن لم يحصل منهم الإيمان، إذن فمدعاهم باطل، ولا يمكن الركون إليه.

روي ان نافع بن الازرق جاء إلى محمد بن على بن الحسين (الباقر) عليه السلام، فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام. فقال له أبو جعفر عليه السلام - في عرض كلامه -:

قل لهذه المارقة، بما استحللتم فراق أمير المؤمنين عليه السلام، وقد سفكتم دمائكم بين يديه، وفي طاعته، والقربة إلى الله تعالي بنصرته؟ فسيقولون لك: انه حكّم في دين الله، فقل لهم: قد حكم الله تعالى في شريعة نبيه رجلين من خلقه، قال جل اسمه:

﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران/ الآية ١٨٣.

(٢) سورة النساء/ الآية ٣٥.

وحكم رسول الله ﷺ، سعد بن معاذ في بني قريظة، فحكم فيهم بما امضاه الله، أو ما علمتم ان أمير المؤمنين انما امر الحكمين ان يحكما بالقرآن، ولا يتعدياه، واشترط رد ما خالف القرآن من أحكام الرجال؟ وقال حين قالوا له: حكّمت على نفسك مَن حكم عليك. فقال: ما حكّمت مخلوقاً، وإنما حكمت كتاب الله. . .

فقال نافع بن الأزرق: «هذا والله ما طرق بسمعي قط، ولا خطر مني ببال، هو الحق ان شاء الله تعالى»[1].

فبين له أن القاعدة الكلية التي بنوا عليها موقفهم والقائلة بأن من مطلق القبول بالتحكيم كفر، قاعدة باطلة حيث تخلفت في موردين.

٢ ـ المحتوي التبييني

يقابل المحتوى التبيني المحتوى النقضي تماماً، أي أن المطلوب بيان نقاط القوة في الفكرة الصحيحة، وذلك من خلال الأسس الثلاثة المشار إليها آنفاً، وهي:

١ ـ إظهار قوة الأساس الذي بنيت عليه الفكرة وصوابيته، وذلك عبر الإستدلال والبرهان العلمي أوالجدلي، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

(١) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٥٧.
(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٥٨.

٢ ـ إظهار ما تحققه الفكرة من مصلحة وغاية شريفة، قال تعالى:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾(١).

٣ ـ تبيين خلو الفكرة الصحيحة عن أي مفسدة، وذلك من خلال استعراض المفاسد التي تترتب على الأفكار البديلة، وعقد مقارنة بينها وبين الفكرة الصحيحة، وإثبات أنها لا تفضي إلى أية مفسدة من هذه المفاسد.

قال تعالى:

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ * وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة نوح/ الآيات ١١٠ ـ ١١٢.
(٢) سورة الأعراف/ الآيات ١٩١ ـ ١٩٨.

٣ ـ المحتوى الدفاعي

من الطبيعي أن تتعرض الفكرة الصحيحة بعد حلولها محل الأفكار الباطلة إلى انتقادات قوية من المتضررين بغية تهديمها وإظهار ضعفها وعدم جدواها أملًا بالرجوع إلى أفكارهم القديمة، وهنا على المبلّغ أن ينبري للدفاع عنها بكل ما أوتي من قوة وبكامل القدرة والحكمة والروية. وهذا هو دور الأئمة عليهم السلام الذي نهضوا به بعدما هدم النبي أصول الشرك، وبنى صرح التوحيد، وبين مجمل أمور الدين والشريعة.

ولكي نتمكن من الدفاع بشكل صحيح علينا أن نستعرض الأسلحة التي يمكن أن يستخدمها المهاجم، ثم نعد له العدة المناسبة، فما يفعله المهاجم لا يخلو من أمور:

الأمر الأول: الهجوم النقضي:

وذلك يكون بالنقض على الفكرة، وإدعاء عدم اطرادها، وذلك بأن يأتي على ذكر بعض الموارد التي تتخلف فيها كليتها.

وطريقة الرد هنا بأحد الأمور التالية:

أ ـ الإنكار:

والمراد به إنكار كون هذا المصداق الذي يدعى أن الفكرة تخلفت فيه من مصاديق القاعدة المحقة، وتبيين أنه من واد آخر، ولا علاقة له بالفكرة المحقة، وذلك بإبراز فرق دقيق بين مصاديق الفكرة المحقة وهذا المصداق.

قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: يابن رسول الله أليس من قولك: إن الانبياء معصومون؟ قال: بلى.

فقال المأمون: فأخبرني عن قول الله، عزوجل، في إبراهيم: فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي؟.

فقال الرضا عليه السلام: «**إن ابراهيم وقع على ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، ذلك حين خرج من السرب الذي أخفى فيه. فلما جن عليه الليل رأى الزهرة قال: هذا ربي**»؟! على الانكار والاستخبار.

فلما أفل (الكوكب) قال لا أحب الآفلين، لأن الأفول من صفات المحدث، ولا من صفات القديم. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي؟! على الانكار والاستخبار.

فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين.

يقول: لو لم يهدني ربي لكنت من القوم الضالين.

فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، من الزهرة والقمر؟! على الانكار والاستخبار، لا على سبيل الإخبار والإقرار.

فلما أفلت قال ـ للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة، والقمر، والشمس ـ ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1][2].

---

(١) سورة الأنعام/ الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٢١٥.

وبما أن قوله عليه السلام كان على نحو الاستنكار لا التقرير، فلا يتم النقض به على عصمته.

ب ـ التفسير:

أي بعد الاعتراف بأنه من مصاديقها، يعمل على تفسير هذا المصداق لإظهار أنه غير متخلف عن الفكرة، وبالتالي إثبات أنها مطردة وشاملة حتى لهذا الفرد.

كما لو قيل: لو كانت شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لأهل المعاصي حقاً لكان له أن يشفع لأصحاب الكبائر، ويدخلهم الجنة، بينما أصحاب الكبائر كفار، ولا يدخلون الجنة.

فيقال: نعم، النبي صلى الله عليه وآله يشفع لأهل الكبائر أيضاً، ومرتكب الكبيرة ليس كافراً، وإنما هو فاسق. ويستدل على هذا التفسير بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**[١].

ج ـ الاستثناء:

وذلك بادعاء وجود استثناء مضبوط للقاعدة، وبيان أن هذا الفرد هو من هذا الاستثناء، ولا يضر بها، ويستحسن هنا ذكر شواهد لقواعد وأفكار مماثلة جعل لها استثناءات مما يعترف بها الطرف الآخر. ومثاله ما لو قيل: كل من حل سفك دمه حل أخذ ماله.

فينقض عليه بأن هذه القاعدة لو كانت مطردة لحل للودعي أخذ الأمانة التي يستودعها عنده الكافر.

(١) الشيخ المفيد، النكت في مقدمات الأصول، ص٥٤.

فيجاب: بأن الأمانة بالخصوص مستثناة من هذه القاعدة، فيجب ردها ولو للعدو الذي يحل سفك دمه.

ويستدل على ذلك بالروايات الواردة في ضرورة حفظ الأمانة ولو كانت لكافر، مثل قول علي بن الحسين عليه السلام لأصحابه:

«عليكم بأداء الأمانة، فلو أن قاتل أبي الحسين عليه السلام، ائتمنني على السيف الذي قتله به لأديته إليه»(١).

الأمر الثاني: الهجوم الهدمي:

وذلك بإيراد إشكال على البناء والأساس الذي أسست عليه الفكرة لإثبات بطلانه، وبالتالي هدم الفكرة من أساسها.

والطريقة الفضلى للدفاع هنا اعتماد اسلوب التحليل للرد على هذا الإشكال، وذلك لأجل إيجاد ثغرة يمكن من خلالها النفوذ إلى رد الإشكال، وذلك من قبيل:

أ ـ إبطال الإشكال:

وذلك بإظهار بطلانه في نفسه، من خلال إبراز نكتة تثبت بطلانه. ومثاله ما عن ابى الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«يا أبا الجارود، ما يقولون في الحسن والحسين عليهما السلام؟

قلت: ينكرون عليهما أنهما ابنا رسول الله.

قال: **فبأي شيء احتججتم عليهم؟**

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٣، ص٢٧٨.

قال: قلت بقول الله في عيسى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ إلى قوله: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، فجعل عيسى من ذرية ابراهيم، واحتججنا عليهم بقوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[2].

ثم قال: فأي شئ قالوا؟

قال: قلت: قالوا: قد يكون ولد البنت من الولد، ولا يكون من الصلب.

قال: فقال أبو جعفر: والله، **يا أبا الجارود، لأعطينكم من كتاب الله آية تسميهما أنهما لصلب رسول الله ﷺ، لا يردها الا كافر.**

قال: قلت: جعلت فداك واين؟

قال: قال: حيث قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ - إلى قوله - وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾[3]، فسلهم، يا أبا الجارود: وهل يحل لرسول الله نكاح حليلتيهما؟

فإن قالوا: نعم. فكذبوا، والله، وإن قالوا: لا. فهما، والله، ابنا رسول الله لصلبه، وما حرمن عليه إلا للصلب»[4].

---

(١) سورة الأنعام/ الآيتان ٨٤ - ٨٥.
(٢) سورة آل عمران/ الآية ٦١.
(٣) سورة النساء/ الآية ٢٣.
(٤) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٥٨.

فالفكرة هنا تقضي بأن الحسنين هما ولدا رسول الله ﷺ لصلبه، والإشكال يهدم الفكرة بزعم أن ابن البنت ليس للصلب، وهما ولدا ابنته، فيأتي الرد بإظهار بطلان هذا الزعم، وإثبات أن الله تعالى ينص على أن ابن البنت هو ابن للصلب من إخلال إثبات تحريم نساء الحسنين على رسول الله ﷺ فيشملهن قوله تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾.

ب ـ إبراز الفرق بين الموردين:

وذلك بإنكار ورود الإشكال المدعى على الفكرة المحقة أصلًا، وذلك بادعاء أنه من واد آخر مثلًا، وإثبات ذلك بإبراز الفرق بين موارد الفكرة ومورد الإشكال.

ومثال ذلك ما لو قيل: الكفر بعد الإيمان يستوجب العقاب ودخول النار، وهي قضية كلية صحيحة.

فلو نقض عليها بأن عمار بن ياسر كفر بعد إيمانه تحت وطأة التعذيب، ولم يخرجه ذلك عن إيمانه.

فيقال في رده: ما صدر عن عمار يختلف عن موارد القاعدة، وذلك لأن القاعدة تشمل خصوص من كفر قاصداً ومريداً لذلك، ليكون كفره حقيقياً لا صورياً. أما عمار فهو لم ينطق بكلمة الكفر إلا وقلبه مطمئن بالإيمان، وذلك خوفاً من التعذيب، فأعطاهم بلسانه دون قلبه.

وهذا ما يسمى بالتقية، وقد شهد القرآن له بسلامة إيمانه، وأن

كفره عن تقية لا يضر بالقاعدة، لأنه ليس كفراً حقيقياً، وبالتالي ليس له حكمه، قال تعالى:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(١).

ج: الإلتزام بالإشكال:

وذلك بالاعتراف بصحته في نفسه، ثم الاعتراف بوروده على القاعدة، لاتحاد مورديهما، ثم الالتزام به من خلال إثبات أنه لا يعارض أصل الفكرة ولا يضر بها، وبالتالي فلا ضير من الالتزام به. ومن المفضل حينئذ أن يؤيد بالأمثلة ليزول الاستغراب.

وإليك هذا المثال:

عن عبد الرحمن بن عبدالزهري قال: حج هشام بن عبد الملك، فدخل المسجد الحرام متكيا على يد سالم مولاه، ومحمد بن علي بن الحسين جالس، فقال له سالم:

يا أمير المؤمنين، هذا محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

فقال له هشام: المفتون به اهل العراق؟ قال: نعم.

قال: اذهب إليه، فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناس، ويشربون إلى ان يفصل بينهم يوم القيامة؟

(١) سورة النحل/ الآية ١٠٦.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **«يحشر الناس على مثل قرصة البُر النقي، فيها أنهار متفجرة، يأكلون، ويشربون حتى يفرغ من الحساب.**

قال: فرأى هشام أنه قد ظفر به، فقال:

الله اكبر، اذهب إليه، فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ!

فقال له أبو جعفر: **هم في النار أشغل، ولم يشغلوا عن أن قالوا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾**[1].

فسكت هشام لا يرجع كلاما[2].

فقد التزم الإمام عليه السلام بأنهم مشغولون عن الطعام والشراب بأمر عظيم، ولكن لا مانع مع ذلك من الأكل والشرب، بتقريب أن أهل النار أعظم انشغالاً من أهل الحساب، ولم يمنعهم ذلك من طلب الماء والرزق.

الأمر الثالث: الهجوم بإبراز اللوازم الفاسدة:

وذلك بادعاء وجود بعض اللوازم الفاسدة المترتبة على الإلتزام بالفكرة المحقة.

وطريقة الرد هنا أن نعمد إلى أحد الأمور التالية:

أ ـ تسليم اللزوم وإنكار الفساد:

وذلك بتسليط الضوء على اللازم المزعوم، وتبريره بإظهار ما

(١) سورة الأعراف/ الآية ٥٠.

(٢) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٥٧.

يستدعي وجوده، وأنه ليس فاسداً كما يتوهم المستشكل. ويتم التركيز حينئذ على إظهار محاسن ما يتوهم أنه مفسدة. ولا بد من إعطاء نماذج مسلمة عند المهاجم لإزالة الاستغراب.

قال ابن جريج للإمام الصادق عليه السلام: «يا أبا عبد الله، حُدثنا اليوم حديثاً استهزأه الناس.

قال: **وما هو؟**

قال: حديث أن رسول الله قال لفاطمة: «**إن الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**».

فقال عليه السلام: «**إن الله ليغضب فيما ترون لعبده المؤمن، ويرضى لرضاه**.

فقال: نعم. قال عليه السلام:

فما تنكر أن تكون ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، مؤمنة، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها».

قال: صدقت! الله اعلم حيث يجعلْ رسالاته»[1].

فقد توهم المستشكل أن تصديق الحديث يستلزم مفسدة، وهي أن غضب الله ورضاه يرتبطان بغيره. فالتزم الإمام عليه السلام، بذلك، وأظهر أن هذا ليس مفسدة بدليل أن الروايات التي تقول أن الله تعالى يغضب لغضب المؤمن، ويرضى لرضاه مشهورة مسلمة بينهم. وإذا

(١) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي، ج٢، ص١٠٣.

كان المؤمن العادي له هذه لمنزلة فما بال فاطمة بنت النبي محمد ﷺ!

ب ـ تسليم الفساد وإنكار اللزوم:

وذلك من خلال تحليل الإشكال ودراسته والخروج بما يؤدي إلى نفي الملازمة بينه وبين الفكرة المحققة، حيث يتم التركيز على إظهار عدم الربط بين الأمرين.

سئل الإمام الصادق عليه السلام، عن قول الله، عز وجل، في قصة ابراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[1].

قال: ما فعله كبيرهم، وما كذب ابراهيم عليه السلام.

قيل: وكيف ذلك؟

فقال: إنما قال إبراهيم: فاسألوهم ان كانوا ينطقون، فان نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فكبيرهم لم يفعل شيئاً، فما نطقوا، وما كذب إبراهيم عليه السلام[2].

وتقريب الاستشهاد بهذه الرواية بالبيان التالي:

تركز الهجوم هنا على فكرة عصمة الأنبياء بادعاء أن القرآن ينص على أن إبراهيم كذب بدليل أن كبيرهم لم يفعله، وإنما إبراهيم هو

---

(١) سورة الأنبياء/ الآية ٦٣.

(٢) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي، ج٢، ص١٠٤.

الذي حطم الأصنام، وبالتالي فإن التمسك بإطلاق القاعدة يستلزم مفسدة، وهي إنكار النص القرآني.

وقد سلم الإمام عليه السلام هنا أن الكذب مفسدة، فلم يناقش في ذلك، ولكنه أنكر التلازم بين الأمرين لأن قول إبراهيم عليه السلام لم يكن كذباً، ثم بين النكتة في هذا الإنكار.

ج ـ تسليم اللزوم والمفسدة:

ويتم الدفاع حينئذ بإظهار أن مصلحة أكبر وأهم تعارض هذه المفسدة بحيث تصبح هذه المفسدة في مقابل تلك المصلحة غير ضارة من منطلق تزاحم المصالح وتقديم الأهم على المهم.

كما لو قيل: إن الإلتزام بمبدأ الشفاعة يؤدي إلى تحريض الناس على المعصية.

فيجاب: إن ذلك أهون من دفع الناس إلى اليأس من رحمة الله، وهو ما يدفعهم إلى الكفر، وبالتالي ارتكاب كل أنواع المعصي.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

الأمر الرابع: الهجوم بدعوى فوات المصلحة:

وذلك بإدعاء المستشكل بأن تفويت الإلتزام بالفكرة يؤدي إلى تفويت بعض المصالح الهامة.

---

(١) سورة يوسف/ الآية ٨٧.

وطريقة الرد هنا أحد الأمور التالية:

أ ـ إنكار الملازمة:

وذلك من خلال محاولة إثبات وجود المصلحة التي يزعم انتفاؤها، والاستدلال على ثبوتها بما يتيسر من الأدلة والبراهين.

وذلك كما حصل لمن استخار الله ثم خالف الاستخارة فحصل له ربح وفير في تجارته، ولما احتج بذلك على الإمام أخبره أنه فاتته صلاة الصبح في السفينة، وهي أهم من كل ما ربحه من التجارة.

ب ـ إنكار أهمية هذه المصلحة المزعوم فواتها، وإظهار أنه لا ضير بفواتها.

ج ـ الاعتراف بفواتها وبأهميتها، ثم إبراز مصلحة أخرى بديلة تعد أشرف وأهم من تلك المصلحة المفوتة.

الأمر الخامس: الهجوم بادعاء التعارض:

أي إدعاء تعارض الفكرة المحقة مع أصل آخر مسلم لدى الطرفين أو لدى صاحب الفكرة المحقة على الأقل، ما يعني بطلانها.

والرد هنا يكون بأحد أمرين:

أ ـ إنكار التعارض، وذلك بتسليط الضوء على بعض الفروقات بين الأمرين بحيث لا يحصل تعارض بينهما.

قيل للإمام الصادق عليه السلام: افيصلح السجود لغير الله؟ قال: «لا.

قال: فكيف أمر الله الملائكة بالسجود لادم؟

قال: **إن من سجد بأمر الله، سجد لله، إذا كان عن أمر الله»**[١].

فليس من تعارض بين السجود لآدم وحرمة السجود لغير الله، لأنه سجود عن أمر الله، وبالتالي فهو طاعة له، أي عملياً سجود له تعالى.

ب ـ الالتزام بوجوده، ثم حله.

وعن حفص بن غياث قال: شهدت المسجد الحرام وابن ابي العوجاء يسأل ابا عبد الله عليه السلام، عن قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[٢] ما ذنب الغير؟

قال: **ويحك هي هي، وهي غيرها!**

قال: **فمثل لي ذلك شيئا من أمر الدنيا!**

قال: **نعم، أرأيت لو أن رجلا اخذ لبنة فكسرها، ثم ردها في ملبنها، فهي هي، وهي غيرها»**[٣].

أي إن الجلود هي عين الجلود عصي الله بها في الدنيا، ولكن بما أنها تبلى، فيعاد تجديدها، يمكن تسميتها بالغير بهذا الاعتبار تمييزا للجديد عن القديم. فبين عليه السلام ما يحل التعارض.

---

(١) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٨٠.
(٢) سورة النساء/ الآية ٥٦.
(٣) المصدر السابق، ص١٠٤.

أسلوب التبليغ

على ضوء الكتاب والسنّة

دراسة منهجية أخلاقية

الشيخ أيوب الحائري

الفصل الأول

التبليغ
حكمه وأهميته ودوره في الهداية

١ ـ وجوب التبليغ.

٢ ـ فضل التبليغ.

٣ ـ فضل العلم مشروط بالتبليغ.

٤ ـ تحليل في قضية الهداية.

٥ ـ التخصّص في العلوم الدينية.

٦ ـ الموقع القيادي للمبلّغ الديني.

١ ـ وجوب التبليغ:

نصت الآيات الكريمة، وتواترت الروايات الشريفة على وجوب التبليغ:

قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[1].

---

(١) النحل: ١٢٥.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[١].

ويدخل في هذا الاتجاه الآيات الداعية إلى الإنذار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب بيان الأحكام الشرعية وحرمة كتمانها، وآيات الدعوة إلى المجادلة وغيرها، كما جاءت في هذا المضمون أحاديث شريفة كثيرة نذكر منها:

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«ما أخذ الله ميثاقاً من أهل الجهل بطلب تبيان العلم حتى أخذ ميثاقاً من أهل العلم ببيان العلم للجهّال، لأن العلم قبل الجهل»[٢].

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«يقال للعابد يوم القيامة: نِعم الرجل كنت، همّتك ذات نفسك، وكفيت الناس مؤنتك فادخل الجنّة، ألا أن الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم ووفّر عليهم نِعم جنان الله..»[٣].

٢ ـ فضل التبليغ:

١ ـ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام[٤] أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«يجيء يوم القيامة وله من الحسنات كالسحاب**

---

(١) السجدة: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص٦٧.

(٣) المصدر السابق: ص٥.

(٤) النصوص المذكورة جميعاً رواها العلامة المجلسي عن مصادرها في كتابه (بحار الأنوار/ الجزء الثاني من الطبعة الحديثة. الباب: ٨، ثواب الهداية والتعليم.

الركام، أو كالجبال الرواسي فيقول: يا رب أنّى لي هذا ولم أعملها؟ فيقول: هذا علمك الذي علّمته الناس يُعمل به من بعدك؟».

٢ ـ وقال رسول الله ﷺ: **«ما تصدّق الناس بصدقة مثل علم يُنشر».**

٣ ـ وقال ﷺ: **«ألا أحدثكم عن أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله على منابر من نور».**

فقيل من هم يا رسول الله؟ قال: **«هم الذين يحبّبون عباد الله إلى الله، ويحبّبون عباد الله إليّ؟ قال: يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما يكره الله، فإذا أطاعوهم أحبّهم الله».**

٤ ـ ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: **«ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى».**

٣ ـ فضل العلم مشروط بالتبليغ[١]:

لقد بلغت النصوص الشريفة في فضل العلم والعالم حدّاً لم يبق خفياً على أحد، وجرت عادة طلاب العلم على الاستشهاد بتلك النصوص لبيان فضيلة علمهم، وصحة منهجهم، وربما اتخذ بعضهم

(١) عموم الروايات المنقولة في هذه الدراسة، رواها العلامة المجلسي في بحار الأنوار الجزء الثاني من الطبعة الحديثة بسنده إلى مصادرها ورواتها.

من تلك النصوص ذريعة لترك العمل التبليغي، والعكوف على طلب العلم دونما تفكير بالهدف المطلوب وراء ذلك، إلا أن دراسة أولية للنصوص الشريفة كافية للدلالة على أن فضل العلم والعالِم وثواب طلب العلم مشروط باستخدامه في هداية الناس، ونشرهم له، وبدون ذلك يفقد قيمته وفضله وثوابه.

١ ـ لاحظ ذلك فيما روته الزهراء عليها السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قالت:

سمعت أبي يقول: **«أن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خِلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله»**. إن الفقرة الأخيرة في هذا النص واضحة الدلالة على جعل الهداية والإرشاد هي المقياس في فضل العلم والعالِم.

٢ ـ ولاحظ ذلك أيضاً فيما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول: **«العالِم كمن معه شمعة تضيء للناس، فكل من أبصر شمعته دعا له بخير..»**.

فأنت ترى أن قضية الإضاءة للآخرين وتنوير طريقهم هي شأن العالم ومهمته وقضيته، فإذا ابتعد عنها كان مثل الشمعة بلا نور ولا نار.

٣ ـ كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: **«إذا كان يوم القيامة بعث الله عز وجل العالم والعابد فإذا وقفا بين يدي الله عز وجل قيل للعابد: انطلق إلى الجنة، وقيل للعالم: قف أشفع للناس بحسن تأديبك لهم»**.

إن هذه الفقرة الأخيرة تؤكد أن فضل العالم وثوابه منوط بحركته التبليغية وسعيه في هداية الناس وتأديبهم.

٤ ـ تحليل في قضية الهداية:

إن النصوص القرآنية صريحة في أن الهداية إنما هي من الله تعالى يشرح لها صدور المؤمنين ويغلق عنها صدور المسرفين والمرتابين.

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٢).

فنحن إذا مضينا مع هذا الفهم لعملية الهداية سوف نصطدم بالتساؤلات الآتية:

لماذا عملية التبليغ إذن؟

وما هي فائدته؟

وما هو دوره في الهداية؟

نحن لا نريد هنا ـ طبعاً ـ إن نناقش الأمر من الوجهة الفلسفية والكلامية. إنما نريد أن نتناول الموضوع بمقدار ما يرتبط بعملية التبليغ ودور المبلّغ في تحقق الهداية خارجاً.

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٢) سورة القصص: ٥٦.

فإذا كانت الهداية من فعل الله تعالى في قلب الإنسان فهل يكون الداعية المبلّغ شريكاً مع الله في عملية الهداية؟ أم له دور آخر؟

وإذا لم يكن له أي دور فما هي فائدة التبليغ إذن؟ ولماذا كان واجباً؟

إننا نستطيع أن نجمل النظرية القرآنية حسب ما نفهمه من مجموع نصوصها الشريفة بما يلي:

أولاً: إن الهداية هي من فعل الله تعالى في قلب الإنسان، فهو تعالى مقلّب القلوب والأحوال، وهو تعالى يحول بين المرء وقلبه، وهو تعالى يخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ثانياً: إن الهداية شأنها شأن كثير من أفعال الله تعالى في الإنسان، تتم عبر مقدمات وأسباب بعضها طبيعية وبعضها إنسانية تابعة لفعل الإنسان.

فالشفاء مثلاً هو من فعل الله تعالى أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(١)، والموت أيضاً هو من فعل الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾(٢).

إلا أننا نعرف جيداً أن هذه الأفعال الإلهية لا تتحقق في الخارج عادة إلا بعد تحقق شروط وأسباب موضوعية.

---

(١) سورة الشعراء: ٨٠.

(٢) سورة عبس: ٢١.

ومن هنا وجب استعمال الدواء لتحقق الشفاء، ووجب الابتعاد عن الأخطار حذراً من الموت وهكذا.

ومثل ذلك يأتي في عملية الهداية أيضاً فلئن كانت من فعل الله تعالى فإن أسبابها ومقدماتها ترتبط بفعل الإنسان.

وإن إحدى مقدمات الهداية وأسباب تحققها هو التبليغ والإرشاد، ولذا أمر به القرآن الكريم كما تقدم.

ولو كانت الهداية لا تحتاج إلى هذه المقدمات والأسباب لانتفت فلسفة البعثة النبوية.

فالنبي ﷺ إنما هو مبشّر، ومنذر، وداع، ومبلّغ، وقد رأينا أن الله تبارك وتعالى قد ربط الهداية باتباع الأنبياء عليهم السلام والاستماع إليهم.

ثالثاً: كما أن القرآن الكريم يرسم لنا مبدأ آخر هو مبدأ (**إقامة الحجة**) حيث يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١).

ويقول تعالى أيضاً في توضيح بعدٍ آخر من أبعاد هذا المبدأ:

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾(٢).

وقد جاءت الإشارة إلى هذا المبدأ في الدعاء المعروف بدعاء

(١) سورة الأعراف: ١٦٤.

(٢) سورة الأنفال: ٤٢.

الندبة الوارد عن أهل البيت عليهم السلام والمنسوب إلى الإمام المنتظر عليه السلام في بيان سرّ النبوات:

«لئلا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولاً منذراً وأقمت لنا علماً هادياً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى».

في ضوء هذا الفهم القرآني لقضية الهداية سيكون يسيراً فهم المعنى الواقعي الصحيح للروايات الواردة في هذا الشأن كما رواها الكليني في الكافي.

٥ ـ التخصّص في العلوم الدينية:

لم يعد للمناقشة مجال في ضرورة التخصص لطلب العلوم الدينية، وعلى أساس من هذه الضرورة في الفكر الديني قامت (الحوزات العلمية) التي تعني بالأصل تفرغ مجموعة من الناس لطلب العلوم الدينية، وعملهم على استيعاب العقيدة والشريعة والإحاطة العلمية بها قدر الإمكان.

الفصل الثاني

عناصر النجاح في التبليغ

العنصر الأول: المحتوى الصحيح.

العنصر الثاني: العنصر الأدبي والأخلاقي.

العنصر الثالث: قوة الاستدلال.

العنصر الرابع: الإخلاص.

العنصر الخامس: الصبر على مشاكل التبليغ.

في الوقت الذي تحتفظ النظرية الإسلامية بدور مهم لعملية التبليغ في الهداية كما أسلفنا شرح ذلك، فإنها تؤكد من جانب آخر على ضرورة توفر مجموعة عناصر في عملية التبليغ لكي تحقق العملية نجاحها.

العنصر الأول: المحتوى الصحيح:

العنصر الأول: هو ما يمكن أن نصطلح عليه (المحتوى الصحيح)، حيث تؤكد النظرية الإسلامية في التبليغ على ضرورة استبطان التبليغ لمحتويات علمية صحيحة. وقد تدل عليه التوصيات التي يقدمها الله تعالى للمؤمنين بالتزام القول السديد كما في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1].

كما جاء النهي المشدد في نصوص القرآن والسنة الشريفة عن الفتوى بغير علم: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[2].

وجاء في الحديث عن الإمام علي عليه السلام أنه قال لرجل وهو يوصيه: «**ولا يستحيي أحدكم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم**»[3].

فإن في هذه النصوص دلالة واضحة إما مباشرة، وإما إيحاءً بأن على كل مؤمن أن يتوخى في حديثه ما هو ثابت حق صحيح، وأن لا ينظر من تلقاء نفسه، وهذا وإن كان عاماً للمؤمنين إلا أن اكتشافات الأولوية للمبلّغ ليس بحاجة إلى دليل.

العنصر الثاني: العنصر الأدبي والأخلاقي:

نقصد بالعنصر الأدبي الجوانب الفنية والأخلاقية في الأداء البلاغي، فلابد للمبلغ أن يتحرى (البلاغة) في القول، والأدب الأخلاقي في المخاطبة، والجوانب النفسية في المخاطب، وربما يمكن الاستشهاد لذلك بقوله تعالى مخاطباً موسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[4].

(١) سورة الأحزاب: ٧٠.
(٢) سورة النور: ١٥.
(٣) بحار الأنوار: ج٢ ص١١٤.
(٤) سورة طه: ٤٤.

فالليونة هي حكاية عن مراعاة الجوانب النفسية في الطرف المخاطب، والآداب الأخلاقية التي تكشف عن شخصية المخاطب، بينما يقول تعالى في موضع آخر: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾(١).

وربما لا يكون المقصود بالبلاغة الجوانب اللغوية والفنية في التعبير، بل حكاية عن كل الجوانب اللغوية والأخلاقية والنفسية، كما أن النصوص القرآنية تؤكد أن مهمة الأنبياء عليهم السلام هي (البلاغ) ثم شرطت ذلك بكونه بلاغاً مبيناً.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٢).

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٣) وقد جاء في نصوص السنة الشريفة الإشارة إلى ضرورة التزام ومراعاة عدة أمور في عملية التبليغ تدخل في العنصر الأدبي. وهذا العنصر ينطوي على آداب وأخلاق كثيرة نذكر أهمها:

منها:

١ ـ الرفق:

عن النبي صلى الله عليه وآله: «**لينوا لمن تعلّمون ولمن تتعلمون منه**»، وعنه صلى الله عليه وآله: «**إن الله يحب الصوت الخفيض ويبغض الصوت الرفيع**»،

---

(١) سورة النساء: ٦٣.

(٢) سورة النحل: ٣٥.

(٣) سورة النور: ٥٤.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: **«إن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله...»**.

٢ ـ مراعاة مستوى السامع:

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: **«إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس بقدر عقولهم»** وقال صلى الله عليه وآله: **«أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرنا بإقامة الفرائض»**[(١)].

العنصر الثالث: قوة الاستدلال والقدرة على الإقناع:

لقد أكدت النظرية الإسلامية في التبليغ على ضرورة اعتماد البرهان كأفضل أسلوب للإقناع، وجاءت الثقافة الإسلامية مليئة ببناء روح البحث عن الدليل والبرهان لتكوين مفردات العقيدة لدى الإنسان، بل وتكوين كل التصورات العامة والخاصة لدى الفرد.

وقد كان منطق الأنبياء والرسل في تبليغ رسالاتهم هو اعتماد الحجة والبرهان، ورفض الظنون والأوهام والخرافات. ولا نجد أنفسنا بحاجة لاستعراض الشواهد القرآنية على هذه الحقيقة التي أضحت من أوليات المنهج الإسلامي في التفكير. وانسياقاً مع هذه الحقيقة فقد جاء التأكيد على ضرورة تحرّي المبلّغ الديني للدلائل القوية والحجج الدامغة وإثارة الروح العلمية لدى الطرف الآخر كيما يكون البرهان هو الحاكم.

---

(١) المصدر السابق.

العنصر الرابع: عنصر (الإخلاص)

تؤكد مجمل النصوص الواردة في ثقافتنا الإسلامية أن الإخلاص لله تعالى عنصر مهمّ في نجاح المبلغ الديني.

والإخلاص بمعنى الابتعاد عن كل المصالح الشخصية، والحسابات المادية، والرغبات المزاجية في العمل التبليغي، واستهداف الهداية، وأداء التكليف الديني في النصح للمؤمنين طلباً لرضى الله تعالى.

فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«لو أن حملة العلم حملوه بحقّه لأحبّهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس»[1].

وجاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تعلّموا العلم لتماروا به السفهاء، وتجادلوا به العلماء، ولتصرفوا وجوه الناس إليكم وابتغوا بقولكم ما عند الله فإنه يدوم ويبقى وينفد ما سواه..»[2].

العنصر الخامس: الصبر على مشاكل العمل.

نحن نريد التأكيد على حقيقة أن (الصبر) الذي دعتنا له الشريعة الإسلامية ليس محصوراً بالصبر على فقد المال، أو الولد أو تحمل

---

(١) بحار الأنوار: ج٢/ صفات العالم.

(٢) المصدر السابق.

الألم والمرض، أو الصبر على عطش الصوم وسفر الحج، وما سوى ذلك من المصائب والطاعات.

بل هو قبل ذلك صبر العاملين لله، والقائمين بأمر الله على مرارة العمل وصعوباته، وأذى الناس وأمزجتهم.

إن أكثر الآيات التي وردت في الأمر بالصبر والثناء على أصحابه، إنما جاءت في هذا السياق، سياق الصبر على العمل، وتحمل الأذى في سبيل الله، انظر قوله تعالى:

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ...﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾(٣).

فأنت تجد هذه الآيات الكريمة داعية للصبر في مضمار العمل، والدعوة إلى الله، وإرشاد عباد الله، وما يكتنف ذلك من صعوبات ومشاكل.

---

(١) سورة يونس: ١٠٩.
(٢) سورة الكهف: ٢٨.
(٣) سورة الأحقاف: ٣٥.

الفصل الثالث

القواعد الأساسية المؤثرة في التبليغ

١ ـ كيفية العمل.

٢ ـ معرفة المجالات التبليغية المتنوعة.

٣ ـ أساليب طرح الأفكار.

٤ ـ تشخيص الأهم والمهم في أمر التبليغ.

٥ ـ العمل افضل أسلوب تبليغي.

٦ ـ أهمية القيادة والحكومة.

١ ـ كيفية العمل:

ليعلم المبلّغون الأعزاء أن الإسلام يثمّن الكيفية في العمل، وهي التي تعطي العمل قيمته لا كميّته، فالصلاة على الرغم من كثرتها إذا افتقدت الكيفية المطلوبة من حضور قلب وإخلاص فقدت قيمتها، ولكنها إذا كانت ركعتين بكيفيتها الجيدة فإنها تكون ذات قيمة عالية.

فعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ انه قال: «**ليس يعني أكثر عملاً لكن أصوبكم عملاً**»(١).

وروي عن الإمام علي عليه السلام: «**لا يقل عمل مع التقوى**»(٢).

لنسع إلى تطوير الكيفية لا الكمية وعدد الساعات والمحاضرات في العمل التبليغي والإرشادي المهمّ والقيم والذي يشابه عمل النبي صلى الله عليه وآله. وينبغي الالتفات إلى أن جيل اليوم واع فأكثر الناس من أهل المطالعة، وكثيراً ما يحضر المجالس أشخاص لهم معرفة بالموضوعات التبليغية المطروحة، ولذا ينبغي أن تكون المحاضرة ذات كيفية جيدة لتكون نافعة للجميع.

٢ـ معرفة المجالات التبليغية المتنوعة والمستوى الفكري العام:

العمل التبليغي يؤدى في مناطق مختلفة وبين أشخاص ليسوا بمستوى واحد، فتارة يكون لطبقة شعبية نظير السوقة والفلاحين والعمال و.. هم يتقبلون ما يطرح عليهم ويحتاجون إلى المفاهيم الإسلامية الخالصة، ويرغبون في التطلع إلى أمور زمانهم.

العمل التبليغي بين هذه المجموعات ليس بالأمر الصعب، وينبغي فيه طرح الموضوعات الصحيحة والتي ترتبط بالقضايا المعاشة وتجنب التكرار.

وتارة يكون العمل التبليغي لطبقات خاصة كطلبة الجامعة أو

(١) الحياة: ١/ ٢٧٢.

(٢) الحياة: ١/ ٢٧٣.

موظفي الدوائر، أو.. في مثل هذه الطقوس ـ سيما إذا كان الوسط التبليغي من الجيل المثقف بثقافة العصر ـ ينبغي للمبلّغ أن يكون ذا معرفة بثقافتهم، وملماً ببعض العلوم العصرية نظير علم الاجتماع، وعلم النفس، والاقتصاد، والسياسة والتاريخ، و.. لكي يتمكن من أداء مسؤوليته أمام جيل الشباب الذي يواجهه.

وفي حالة الافتقار إلى هذه المعلومات ولو بصورة نسبية فالمطلوب منه ترك مثل هذه المجالس إلى أهلها، وإلا فإن كثيراً ما يكون للتبليغ أثر عكسي نتيجة لغياب المعرفة بحالة المستمع الفكرية والنفسية، ويسبب ضعفاً في العقائد أو رفضها بدلاً من تجذيرها وتثبيتها.

وما ورد في الروايات من أن العالم يجب أن يعرف أهل زمانه إنما هو لأجل ما ذكرناه، أي يجب أن يعرف من يواجه، ومن يبلغ فيهم، وما هي نفسياتهم وأفكارهم، وخصوصياتهم لكي يحصل على التأثير المطلوب.

وروي عن الإمام علي عليه السلام:

«ولابد للعاقل من ثلاث: أن ينظر في شأنه ويحفظ لسانه ويعرف زمانه»(١).

٣ ـ أساليب طرح الأفكار:

القرآن الكريم أفضل معلّم للأساليب التبليغية، فمن أجل طرح أية فكر جديدة أو موضوع لم يسبق طرحه، أو كان يبلغ عنه بشكل

(١) الحياة: ١/ ١٢٨.

خاطئ في المجتمع، يتحتّم على المبلّغ في مثل هذه الموارد حيث يريد تبليغ اصل الموضوع بصورة صحيحة، وتغير ذهنية المجتمع وأفكاره، أن يمهد له أولاً ثم لكي يمهد الأذهان لتقبل ما يريد طرحه عليه أن يقدّم مقدمات توضيحات لكي يتم طرد الأساس الخاطئ للموضوع الإسلامي وإحلال الأساس الصحيح محله، وقد يقتضي طرح فكرة جديدة أن يتّجه عدة مبلّغين منسجمين إلى منطقة ما، فيقوم كل مبلّغ بطرح جزء من الفكرة ويستفيد الآخر من نتيجة الأول.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾(١).

وعلى المبلّغ اتباع أسلوب الموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وذلك بأن يناقش كل شخص حسب منطقه، كما ذكرنا فيما سبق بصورة إجمالية. وعليه انتخاب اللغة وأسلوب الكلام والكتابة، وتجنب اللغة الأجنبية أكثر من حدها، بل يمكن استخدام كل لغة واصطلاح بقدره المطلوب، لأن استعمال المصطلحات الثقيلة التي تتعب المستمع والقارئ ليس من الأساليب التبليغية الناجحة.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(٢).

---

(١) يس: ١٣ ـ ١٤.

(٢) إبراهيم: ٤.

عن النبي ﷺ:

«إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم..»[١].

وعن الإمام علي عليه السلام:

«أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ حدثوا الناس بما يعرفون وأمسكوا عما ينكرون»[٢].

٤ ـ تشخيص الأهم والمهم في التبليغ:

من المناسب أن يأخذ المبلغون الأهم والمهم في القضايا بعين الاعتبار، فمن الممكن أن يكون موضوع ما في مكان وزمان خاص ضرورياً جداً، فالمطلوب هو اعتبار الضرورات كالإسعافات الطبية وذلك بالمبادرة إلى تبليغها وتوعية الجيل بشأنها. فإن مثل هذه القضايا لها أهميتها في زمانها الخاص، ويجب أن تحتل الصدارة، وتأتي القضايا الأخرى بعدها في التبليغ.

إن الأهم في القضايا التبليغية تارة يكون أهمها بصورة مستمرة، ويعتبر أساساً وقاعدة، نظير الإيمان بالله والمعاد والعقوبة الإلهية، والتوجه إلى ولي العصر وإمام الزمان (عج) وهو الإمام الحي الغائب عن أنظار الناس والشاهد على أحداث العالم، وقضية الحكومة والقيادة في عصر الغيبة وولاية الفقيه.

(١) الحياة: ١/٤٦.

(٢) الحياة: ١/١٤٧.

هذه القضايا تمثل الأساس للأفكار والعقائد والنظام الإسلامي، وتحظى بالمرتبة الأولى من الأهمية في التعامل.

روي عن الإمام علي عليه السلام:

«من اشتغل بغير المهم ضيّع الأهم»[١].

٥ ـ العمل أفضل أسلوب تبليغي:

العمل أفضل الأساليب والسبل التبليغية، ولسان العمل أنطق وأصدق من لسان الكلام، ففي كل مجال وعمل صالح إذا كان للإنسان فيه خطوة عملية فإن ذلك أفضل أسلوب للتبليغ عن ذلك العمل، فمثلاً، إذا كانت النظافة في شوارع إحدى المدن أو هذا المثال غير مناسب أبداً، وإذا لم يهتم أحد بعيادة المرضى في بلد ما، فليقم المبلّغ بزيارة المستشفيات وهكذا.. يكون العمل في أي شيء أفضل وأكثر الأساليب التبليغية تأثيراً.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فإن ذلك داعية»[٢].

٦ ـ أهمية التعريف بـ القيادة والمرجعية الصالحة:

في العمل التبليغي من اللازم تعريف القيادة والمرجعية الصالحة

---

(١) الحياة: ١/٣٠٨.

(٢) الحياة: ١/١١٣.

للناس، وكان الناس في زمن الأئمة لا يتخلفون حتى لحظة واحدة عن مسألة البيعة للإمام، وإن كانوا يخطئون في المصداق، وفي هذا العصر أيضاً يجب أن لا يخلو المجتمع من قائد لحظة واحدة، حتى لا يبقى الناس حيارى وبدون واجب ولا يخطئوا في المصداق والتعرف على شخص صالح وجامع للشرائط، محيط بأحوال الزمان، شجاع وعارف بالشؤون السياسية في هذا العصر وانتخاب من أثبت عملياً وطيلة حياته السابقة لياقته وثباته وشجاعته ورؤيته الصحيحة، وبذلك يتم مفهوم ولاية الفقيه والحكومة الإلهية.

الفصل الرابع

وصايا في منهج العمل التبليغي

١ ـ مداراة الناس.

٢ ـ العناية الخاصة بالوضع النسوي.

٣ ـ مراعاة أسس التفاضل الإسلامي.

٤ ـ الانفتاح على الطبقة العامة.

٥ ـ تشخيص الأهم والمهم.

٦ ـ المساعي الإنسانية.

٧ ـ اعتماد المسجد كقاعدة للتحرك.

٨ ـ جوانب في الثقافة والتحرك.

٩ ـ أدب الرواية والفتوى.

يتعين على المبلّغ الديني ممارسة مجموعة نشاطات، والتحلي بمجموعة خصال أخلاقية تنعكس على أسلوبه ومنهجه، وفيما يلي نذكر أهمها اعتماداً على ما جاء فيها من النصوص الشريفة.

١ ـ مداراة الناس:

روي في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: ـ

«إنا امرنا معاشر الأنبياء بمداراة الناس كما امرنا بأداء الفرائض»[١].

ولكن ما هو المقصود بمداراة الناس؟ هناك عدة مواضع لابد من مداراة الناس فيها:

أ) لابد من مداراة الناس في مستوى الطرح، ولغة المخاطبة، والمضامين التي يتناولها المبلّغ. فلا يصح أن يكلّمهم بلغة غير مفهومة، ولا بطريقة استدلال غير واضحة، ولا يصح أن يطرح لهم موضوعات فكرية فوق مستواهم، وإذا كان يريد إيصال مطالب قرآنية مهمة لهم ولكنها عالية المضامين فعليه أن يتدرج في إيصالها لأذهانهم ويتوسل في طرحه بثوابتهم وبديهياتهم وما يحسونه ثمّ يصل إلى المضمون المراد طرحه، في هذا المجال تأتي الأحاديث الشريفة التي تدعو لتكليم الناس على قدر عقولهم، وهي أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ:

«إنا أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس بقدر عقولهم».

ب) ـ كما أنه لابد من مداراة الناس في مجال بيان الأحكام الشرعية والتكاليف الدينية المطلوبة منهم، فلا يصح أن يلقي مجموعة من التكاليف مرة واحدة على المستمع حتى يضطره للهزيمة من الالتزام بها، بل حتى من الاستماع إليها.

(١) سفينة النجاة: ج١.

بل إن بعض العلماء الصالحين كان يتدرّج مع الشاب السائل عن حكم من افطر شهر رمضان عمداً، فيقول: عليك القضاء فعلًا، ولا يذكر له الكفارة خشية عليه.

وهكذا إذا كان المستمع قد دخل في الإيمان جديداً، أو يريد أن يتعلّم الصلاة جديداً، أو ما شاكل ذلك.

ج) ولابد من المداراة أيضاً في مجال العمل مع الناس، وإناطة بعض المسؤليات بهم أو طلب أداء بعض الأعمال منهم.

فلابد للمبلّغ الديني أن لا يحملهم اكثر مما يتحملون، ولابد أن يشكر المحسن منهم إذا احسن، ويعفو عمن اخطأ في موضع العفو، ويعاقب في موضع العقوبة إذا توقفت النتيجة الصالحة على العقوبة.

٢ ـ التفقد والصلة:

لا يكفي أن يلتقي المبلّغ الديني بالناس في مجلس درسه، أو محل إدارته، أو موضع الصلاة، بل لابد من تفقدهم وزيارتهم، خاصة مرضاهم، ومسافريهم، ومن غاب منهم عن الحضور.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم»[١].

ويقول عليه السلام:

«ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما»[٢].

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) نهج البلاغة.

حتى يشعر الناس بأن العالم الديني هو بمثابة الأب الذي لا ينسى أولاده، والأخ الذي لا يترك إخوانه.

ولابد أن تكون هذه الزيارات هادفة ومقصودة، وليس لقضاء الوقت، أو التفكه والأنس بالأصدقاء.

وحبذا لو يستفيد المبلّغ الديني من هذه الزيارات لتقديم بعض النصائح الهادئة، والتذكير ببعض القصص النافعة، والسؤال عن أهل صاحب البيت وأولاده والسلام عليهم والتحدث معهم بما ينفع والتودد لقلوبهم، لذا وجدنا النصوص الشريفة تعتبر هذه الزيارات (إحياءً للقلب، وذكراً لأحاديث أهل البيت عليهم السلام كما جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام.

وفي ضوء ذلك من المفيد أن يخصص المبلّغ الديني وقتاً في اليوم أو الأسبوع للقيام بهذه الزيارات ويعتبرها جزءاً من عمله وتبليغه.

ولقد جاءت توصيات أهل البيت عليهم السلام بالتزاور لأهميته، بل كانوا عليهم السلام يقومون بالزيارة، وتفقد الناس لمنازلهم ومحال عملهم.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«تزاوروا في بيوتكم، فإن ذلك حياة أمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا»[١].

(١) ميزان الحكمة.

ثم إن هذه الزيارات إذا كانت بدافع التقدير والاحترام وجب أن تختص بالمؤمنين الأخيار كما جاء في الحديث عن الصادق عليه السلام:

«إذا زرت فزر الأحياء ولا تزر الفجار»[١].

ولكن زيارة الفجّار قد تكون مطلوبة أحياناً بهدف هدايتهم إذا كان يأمل ذلك كما نعرف من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله لدى زيارته لمريض يهودي كان يؤذيه، وزيارة الإمام الكاظم عليه السلام لمعاند كان يكثر السب والوقيعة بالإمام، فزاره عليه السلام إلى مزرعته في قصة معروفة فكان أول المصلين خلف الإمام بعد ذلك.

٣ ـ العناية الخاصة بطبقة الشباب والفتيان:

ينبغي للمبلّغ الديني أن يولي طبقة الشباب اهتماماً خاصاً، فالطاقات المتوهجة في الشباب يجب أن يعمل المبلّغ الديني على استثمارها، والتطلعات المستمرة لديهم يجب أن يعمل المبلّغ الديني على إشباعها، وهكذا يتعين العمل على إنشاء مجموعة مشاريع ثقافية، ورياضية، وميدانية، وإعلامية، وفنية، ثم توظيف طاقات الشباب فيها.

إذن لابد من استحداث دروس خاصة وفرق رياضية وفنية، ولجان عملية ميدانية، تخضع كلها لإشراف العالم الديني حتى يجد الشاب نفسه مستغلاً لطاقاته، مشبعاً لطموحاته، مملوء الوقت والنفس العقل.

---

(١) ميزان الحكمة.

وبهذا الصدد فقد وردت عدة نصوص شريفة تؤكد ضرورة الاهتمام بهذه الطبقة، فعن الإمام الصادق عليه السلام وهو يتحدث مع أحد أصحابه في مجال التبليغ وإقبال الناس على التشيع ومعرفة أهل البيت عليهم السلام.

يقول له عليه السلام: كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ودخلهم فيه؟.

فقال: والله إنهم لقليل، ولقد فعلوا ذلك وأن ذلك لقليل.

فقال عليه السلام: **«عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير»**[1].

وهكذا نجد الإمام الرضا عليه السلام يقول:

«لو وجدت شاباً من شبان الشيعة لا يتفقه لضربته بالسيف»[2].

ومثل ذلك يجب الاهتمام بطبقة الصغار، وابتكار فعاليّات مناسبة بشأنهم، مثل دروس تعليم القرآن، وفرق الأناشيد، والفرق الرياضية، والسفرات السياحية التربوية، والمسابقات المتنوعة فضلاً عن الدورات الثقافية الخاصة بهم.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«إنما قلب الحديث كالأرض الخالية ما القي فيها من شيء إلا قبلته»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٣.
(٢) بحار الأنوار: ٧٨.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٧.

وفي ضوء ذلك يجب أن يتجّه المبلّغ الديني بالتفقد والسؤال وإبداء المحبة والرعاية الخاصة للصغار الذين يلتقي بهم في المسجد، والشارع، والمدرسة حيث يكسب ودهم ويكون لهم أبا ومعلماً محبوباً يريدون مجلسه، والاستماع إلى حديثه.

٤ ـ العناية الخاصة بالوضع النسوي:

وكما أن العالم الديني مسؤول عن هداية الرجال وتبليغهم كذلك هو مسؤول عن وضع النساء الثقافي والديني والسياسي، فلا يصح أبداً إغفال هذا الجانب، وحصر النشاط بشؤون الرجال وحدهم، وقد وجدنا القرآن الكريم أولى هذا الجانب اهتماماً واضحاً كما قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1].

إن الحفاظ على سلامة الأسرة والمجتمع، وعفاف المرأة ودينها، وصيانة الشباب وأخلاقهم تتطلب من العالم المبلّغ بذل جهود خاصة في قطاع النساء لتربية المرأة وتثقيفها ووضعها في موضع تحمل المسؤولية الدينية والسياسية.

ومن الخطأ الكبير عزل المرأة عن الميدان الثقافي والديني السياسي، وتركها عرضة للانحراف والضياع وافتراس الخطوط الفاسدة واللادينية، أو تركها في فراغ يضطرها لملئه بالبرامج غير الصحيحة، أو التجوال في الأزقة والأسواق إلى جنب الرجال، وقد ورد النهي الصريح عن ذلك في عدد كبير من الروايات الشريفة.

---

(١) التحريم: ٦.

وقد كانت النساء يفدن على رسول الله ﷺ، ويسألنه عن مسائل في الفكر والشريعة الإسلامية كما يظهر من عدد من الروايات التي أوردها العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج٨٨ ـ أحكام الجماعة، أن النساء كنّ يصلين جماعة في المسجد خلف رسول الله ﷺ.

رغم أن الصلاة في المسجد جماعة ليست مؤكدة للنساء كتأكيدها على الرجال، إلا أن ما ورد من النصوص الشريفة وفتاوى الفقهاء في فضل الصلاة في المسجد، وفي فضل الصلاة جماعة لم يذكر أحد من الفقهاء اختصاصه بالرجال.

وأما الحديث الذي رواه الطبرسي في مكارم الأخلاق عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت:

«خير للنساء أن لا يرين الرجال، ولا يراهن الرجال».

فهو حديث صحيح في معناه حيث لا يجوز نظر المرأة للرجل، كما لا يجوز نظر الرجل للمرأة بشهوة وريبة.

وهو حديث يحمل ذات المضمون القرآني في قوله تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(١).

إلا أنه لا دلالة فيه على منع المرأة عن مراودة مجالس الذكر

---

(١) النور: ٣٠ ـ ٣١.

والوعظ والإرشاد أو ما شاكل ذلك مما فيه صلاح الدين، بل هو قريب لمعنى النهي عن تردد المرأة في الأسواق، ومخالطة الرجال بعيداً عن مقتضى الاحتشام والعفاف اللازم.

وعلى كل الأحوال فإن المبلّغ الديني ينبغي أن يتجّه للمجال النسوي بمختلف النشاطات الدينية اللازمة، مثل عقد مجالس الدرس، والمحاضرات، وصلاة الجماعة، ومختلف برامج التوعية الثقافية.

وفي ذات الوقت فإنه يجب أن يسعى للحفاظ الكامل على الضوابط الشرعية في هذا المجال وعدم التسامح فيها.

٥ ـ مراعاة أسس التفاضل الإسلامي:

لقد وضع الإسلام مجموعة أسس للتفاضل بين الناس كالعلم، والتقوى، والجهاد، والسابقة الدينية، والشرف الاجتماعي، وغير ذلك.

ومن هنا يقع على عاتق المبلّغ الديني أن لا يغفل عن مراعاة هذه الأسس في التعامل مع الناس.

فلابد أن يعطي لأهل العلم، وذوي الكفاءة، وأهل التقوى والصلاح، والمجاهدين والسابقين في نصرة الدين، وأصحاب الشرف والوجاهة في المجتمع ـ أن يعطي لهؤلاء مواقعهم المناسبة في مشاريعه وعلاقاته.

في الوقت الذي يعمل على استيعاب الجميع إلا انه لابد من احتضان أصحاب هذه الامتيازات أكثر من غيرهم، كما جاء في وصية الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر حيث يقول عليه السلام:

«والصق بأهل الورع والصدق..».

«وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء..».

«وثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة..».

«وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً..».

فلابد أن يعمل جاهداً على جذب هذه العناصر وتقريبها منه حتى يكونوا أهل مجلسه ومشورته قبل غيرهم.

٦ ـ الانفتاح على الطبقة العامة:

وفي الوقت الذي يولي المبلّغ الديني رعاية خاصة لذوي الكفاءة، وأهل السبق وأصحاب الشرف، كما مر إلا أنه لا ينبغي أن ينغلق على خصوص هؤلاء، ويترك عامة الناس والتوجه اللازم لهم، وهم المعبر عنهم في نص الروايات بـ(الطبقات السفلى) حيث يقول الإمام علي عليه السلام في ذلك (الله، الله في الطبقة السفلى) فقد يجد في هذه الطبقة أنصاراً مخلصين إذا هو انفتح عليهم ونفذ إلى قلوبهم بالأسلوب الأفضل والأمثل.

إن طريقة الانفتاح على هذه الطبقة هي منهج الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام، وقد كان المترفون وأهل الكبرياء يأخذون على الأنبياء احتضانهم هذه الطبقة قائلين: (ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا)

مطالبين بطردهم وإبعادهم كان النبي ﷺ يقول: «وما أنا بطارد المؤمنين».

٧ ـ المساعي الإنسانية:

ينبغي أن يقف المبلّغ الديني موقفاً وسطاً في الاشتغال بالمساعي الإنسانية، كإصلاح ذات البين، وقضاء الحاجات وإعانة الفقراء وتقديم الخدمات، فهي مطلوبة منه إلا أنه لا يصح الاستغراق فيها كأنها مهمته الأساسية، بحيث ينظر الناس إليه وكأنه مسؤول مؤسسة خيرية، أو موظف في دائرة الخدمات الاجتماعية، وما شاكل ذلك.

إن المبلّغ الديني لا يصح أن يبتعد تماماً عن المساعي الإنسانية بل هي جزء من وظيفته باعتباره مصلحاً وهادياً ومنقذاً للضعفاء، ومدافعاً عن حقوق المساكين، ومن حق الناس أن يتطلعوا إليه باعتباره حلّال مشاكلهم، إلا أن المبلّغ الديني قد يتورط في خطأ آخر إذا هو استغرق وقته وشغله وجهده في هذه الأمور بعيداً عن تثقيف الناس وهدايتهم من خلال البرامج الموضوعة لذلك.

ولابد أن يشرح للناس قولاً وعملاً أن مسؤولية الأمور الخدميّة يجب أن توضع على عاتق آخرين سواء مؤسسات خيرية، أو مؤسسات الدولة العامة.

٨ ـ اعتماد المسجد كقاعدة للتحرك:

من الضروري تربية الناس على حضور المساجد، وأخذها منطلقاً للهداية والتربية.

وقد كانت السيرة النبوية، والشريعة الإسلامية شديدة في التأكيد على هذا الأمر.

ولم تكن المساجد لأداء الصلاة فقط، بل كانت مركزاً للتوجيه والهداية.

قال رسول الله ﷺ:

«من أدمن إلى المسجد أصاب الخصال الثمانية: آية محكمة، أو فريضة مستعملة، أو سنة قائمة، أو علماً يستطرف، أو أخاً مستفاداً، أو كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى، وترك الذنب خشية أو حياء»[(١)].

وهكذا يتعيّن على المبلّغ الديني أن يجعل دروسه، ومحاضراته، واجتماعاته في المسجد، ودعوة الناس الأكيدة لذلك، وبيان فضل الصلاة في المسجد جماعة حتى أفتى الفقهاء بعدم جواز إهمال صلاة الجماعة.

٩ ـ جوانب في الثقافة والتربية:

من الجدير أن يعطي المبلّغ الديني اهتماماً خاصاً لبيان الأمور التالية:

أ) الأحكام الشرعية، خاصة ما هي محل ابتلاء عموم الناس.

ب) القرآن الكريم تفسيراً، وحفظاً.

---

(١) ميزان الحكمة.

ج) السيرة من تاريخ الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحين.

لابد أن يخصص لذلك دروساً في مختلف المستويات، ويعقد لذلك دورات خاصة في تعلم القرآن الكريم، والأحكام الشرعية، وسيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام.

ولا يكفي الاقتصار على المحاضرات العامة.

كما لابد من ابتكار مجموعة برامج لتنشيط الحركة القرآنية في صفوف الناس ودفعهم لها، حتى تكون رعاية الحركة القرآنية جزءاً من المهام الأساسية في عمل المبلّغ الديني.

وقد وردت التوصية الأكيدة بذلك في السنة الشريفة، حتى جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قوله:

«خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»[1].

وجاء عنه صلى الله عليه وآله أيضاً:

«ما اجتمع قوم في بيت من بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم فيمن عندهم»[2].

والأحاديث في ذلك كثيرة لا مجال لذكرها.

١٠ ـ أدب الرواية والفتوى:

جاء في الأحاديث الشريفة عدة وصايا تخص المبلّغ الديني في

---

(١) ميزان الحكمة.

(٢) ميزان الحكمة.

عملية التبليغ، ونظراً لأهميتها نشير إلى جملة منها وقد أوردها جميعاً العلامة المجلسي في البحار الجزء الثاني.

أ) تجنب الإفتاء بغير علم:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أنهاك عن خصلتين فيهما هلاك الرجال: أن تدين الله بالباطل، وتفتي الناس بما لا تعلم»[١].

وجاء في وصية الإمام علي عليه السلام:

«ولا يستحي ـ أحدكم **ـ إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم»**[٢].

ب) تجنب الرواية بغير علم وضبط:

ورد في الحديث عن الإمام علي عليه السلام:

«الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه»[٣].

ج) إسناد الرواية:

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«إذا حدثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدثكم، فإن كان حقاً فلكم، وإن كان كذباً فعليه»[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢.
(٢) بحار الأنوار ج٢.
(٣) بحار الأنوار: ج٢.
(٤) بحار الأنوار: ج٢.

ومن هنا يجدر بالمبلّغ أن يسند الأحاديث التي يرويها إلى المصدر الذي نقلها عنه.

د) الرواية مع ضبط النص:

يقول العلامة المجلسي:

«إذا لم يكن المحدث عالماً بحقائق الألفاظ ومجازاتها ومنطوقها ومفهومها ومقاصدها لم تجز له الرواية بالمعنى بغير خلاف»[١].

لذا درج العلماء والرواة على ضبط النص مهما استطاعوه، والإشارة إلى أن النقل إنما هو بالمضمون ليس بالنص إذا لم يكن النص مضبوطاً لديهم.

ورغم أنهم جوّزوا النقل بالمعنى الدقيق إلا أن ذلك لما لم يكن ميسراً في العادة كان الأحوط ضبط النص، أو الإشارة إلى النقل بالمعنى.

هـ) ضبط الآيات القرآنية:

يجب أن يسعى المبلّغ الديني لضبط الآيات القرآنية، ورعاية أحكام النحو والتلاوة فيها لأن القرآن الكريم هو الرسالة الإلهية التي يريد المبلّغ الديني إيصالها للناس، فالضعف في ضبط الآيات والخطأ في قرائتها يكشف عن عدم أهلية المبلّغ لهذا الموقع العظيم، ويفقد ثقة الناس به، ويدعو إلى الشك في مدى استيعابه للثقافة الإسلامية وأحكام الشريعة، فضلاً عن ارتكاب حرمة شرعية في صورة العمد أو

---

(١) بحار الأنوار: ج٢.

التقصير إذ نسب للقرآن ما ليس فيه، أو قرأ آية ليس على الوجه الذي أنزلت فيه.

و) المعرفة بتفسير القرآن:

ويجب أن يحرص المبلّغ الديني على تقديم التفسير الصحيح للآية التي يتناولها في حديثه معتمداً في ذلك على المصادر الموثوقة في التفسير، أو ينسب الرأي إلى قائله إن كان في المسألة خلاف.

وقد شدّد الأئمة الطاهرون عليهم السلام على ضرورة تجنب التفسير بالرأي، وضرورة الرجوع إلى أهل الذكر في معرفة التفسير الصحيح.

جاء عن الإمام علي عليه السلام:

«إياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء، فإنه ربَّ تنزيل يشبه بكلام البشر كله وهو كلام الله تأويله لا يشبه بكلام البشر»[١].

وجاء عن الصادق عليه السلام:

«ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، أن الآية تنزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء آخر»[٢].

(١) تفسير البرهان.
(٢) تفسير البرهان.

الفصل الخامس

وصايا في الحديث السياسي

١ ـ مبدأ التوجيه السياسي.

٢ ـ اعتماد المصادر الصحيحة في الرؤية السياسية.

٣ ـ ربط الناس بالولاية العامّة.

٤ ـ الدفاع عن الجمهورية الإسلامية.

٥ ـ التثقيف على مبدأ القيادة.

٦ ـ تشخيص القائد وتوجيه الأمة إليه.

٧ ـ التربية على احترام العلماء.

٨ ـ العمل على توحيد الأمة.

١ ـ مبدأ التوجيه السياسي:

في الوقت الذي تخوض أمتنا معركة سيّاسية، كما تخوض معركة ثقافية فإن من الطبيعي أن تكون عملية التوجيه السياسي جزءاً من مهمات المبلّغ الديني.

وليكن واضحاً أن عملية التوجيه الثقافي سوف لا تثمر نفعاً إذا ما انفصلت عن عملية التوجيه السياسي، ذلك أننا بحاجة إلى أمة تقف إلى جانب الخط الإسلامي الثوري في مقابل الخطوط الانحرافية، أما الفرد القلق في رؤيته السياسية أو المخالف في موقفه السياسي فإن الثقافة سوف تتحول إلى سلاح مضاد، وهكذا يقع على المبلّغ الديني مسؤولية تقديم الرؤية السياسية الصحيحة للناس، وتوجيههم نحو الموقف الصحيح، وتوظيف قدراتهم العملية، وطاقاتهم الأدبية والثقافية لخدمة ذلك الموقف.

وهذا الأمر يتطلب مسبقاً أن يكون المبلّغ الديني واعياً تماماً للأحداث السياسية، مدركاً للموقف الصحيح لكي يدل الناس عليه.

حينما يتناول المبلّغ الديني حديثاً عن فكرة اعتقادية، أو واقعة تاريخية، أو مبدأ أخلاقياً، أو جوانب شرعية، فلابد أن يسعى للاستفادة من ذلك لبناء الموقف الصحيح لدى المستمع، ومن الخطأ تماماً أن نتحدث عن الأفكار مفصولة عن الواقع التطبيقي لها، أو نتحدث عن التاريخ باعتباره صفحة قد انتهت، أو نتحدث عن الأخلاق كمبادئ نظرية تجريدية.

لابد أن يكون القرآن نموذجاً لنا في عملية التوجيه والتربية.

ولابد أن يكون نهج البلاغة نموذجاً لنا في عملية بناء الفرد والأمة.

فنحن دائماً نجد في القرآن ونهج البلاغة التوجيه السياسي إلى جانب التوجيه الثقافي.

٢ ـ اعتماد المصادر الصحيحة في الرؤية السياسية:

ويحتاج المبلّغ الديني إلى دقة وعناية خاصة في تكوين الرؤية السياسية الصحيحة، وتشخيص الموقف السياسي لكي يطرحه على الناس، وهنا يأتي دور المصادر التي يعتمدها في تكوين تلك الرؤية والموقف.

نحن في المسألة الشرعية، وهكذا في تفسير القرآن، كما هو في المسائل الاعتقادية لا نستطيع إلا اعتماد المصادر الصحيحة المؤيدة في النظرية الإسلامية.

ولذا نرفض اعتماد القياس، والاستحسان، والتفسير بالرأي، واعتماد خبر غير الثقة هكذا مثل ذلك يجب أن يكون في تشخيص الوقف السياسي وتحديد الرؤية السياسية.

كما أن الرؤية السياسيّة المطروحة للناس يجب أن تكون رؤية موحدة حتى لا يضطرب موقف الناس.

فحينما يختلف اثنان من المبلّغين في إعطاء الحكم الشرعي سوف يرتبك موقف الناس، وهكذا حينما يختلف المبلّغون في تقديم الرؤية السياسية وتشخيص الموقف.

فلابد من أن يسعى المبلّغ الديني إلى تقديم رؤية سياسية صحيحة، موحدة مع باقي المبلّغين ليتحد موقف الناس.

وبهذا الصدد يلزم اعتماد أمرين:

أولاً: التعرّف على رؤية القيادة السياسية الشرعيّة وتقديم تلك الرؤية للناس.

ثانياً: السعي للتعرف على مجمل الأحداث السياسية في القضية المعنية ليستعين بها المبلّغ الديني في عملية التوجيه السياسي.

لابد أن يدرك المبلّغ الديني أنه ليس من حقه تشخيص موقف سياسي للناس غير الموقف الذي تشخصه القيادة الشرعية، ولا تقديم رؤية غير رؤية القيادة الشرعية.

وفي ضوء ذلك سيكون المبلّغ الديني مدعواً للاطلاع على تصريحات وتوجيهات وتحليلات القيادة الشرعية ومتابعتها باستمرار من خلال القنوات الإعلامية، والسعي لتقديمها للناس أثناء أحاديثه ودروسه ومحاضراته.

إن ما نعنيه بالقيادة السياسية الشرعية يبدأ بولاية تتجسد من العامة المتمثلة بالقائد المعظم آية الله السيد الخامنئي دامت بركاته الذي تتجسد فيه النيابة العامة لصاحب العصر أرواحنا له الفداء.

٣ ـ ربط الناس بالولاية العامة:

على ضوء النظرية الإسلامية تكون إمامة المسلمين واحدة يخضع لها أدناهم وأقصاهم.

فقد جاء في توقيعات الإمام الحجة(عج) تنصيب الفقيه الجامع للشرائط إماماً وقائداً للمسلمين في غيابه، وعليه فلابد من أن يعمل المبلّغ الديني على ربط الناس، وشدهم إلى موقع الولاية العامة للمسلمين المتمثلة اليوم بولي الأمر آية الله العظمى السيد الخامنئي دامت بركاته.

وتحتاج عملية الربط إلى مساعي تثقيفية كما تحتاج إلى مساعي تربوية.

فالمبلّغ الديني مسؤول عن شرح الجوانب الثقافية في قضية الولاية، كما هو مسؤول عن ربط الناس وشدهم روحياً بالقيادة العليا من خلال استعراض الفقهاء، وتحليل أحاديثهم، وانتهاج خطواتهم، والطاعة لأوامرهم.

٤ ـ الدفاع عن الجمهورية الإسلامية:

إن أي ضعف في العلاقة مع الجمهورية الإسلامية سوف ينعكس في العادة على العلاقة مع القيم الإسلامية، والثورة الإسلامية، وقد يتضاعف فينعكس على العلاقة مع الولاية الشرعيّة، وموقع العلماء في الأمة، والمنهج الديني في الثورة.

ولهذا فإن مسؤولية المبلّغ الديني هي أن يحتفظ بموقع الجمهورية الإسلامية في قلوب الناس، ويسعى جاهداً للدفاع عن مواقفها، والحديث عن حسناتها، ومبادراتها ووحدتها في الدفاع عن نفسها، وعن المظلومين في كل العالم الإسلامي.

٥ ـ التثقيف على مبدأ القيادة:

لقد أولت الشريعة الإسلامية مسألة القيادة والإمامة أهمية بالغة، حتى وجدنا الشريعة قد أكدت على استحباب اختيار الأمير في السفر كما جاء عن رسول الله ﷺ:

«إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»[(١)].

في حديث الإمام علي عليه السلام:

«الواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين.. أن لا يعملوا عملاً ولا يقدموا يداً ولا رجلاً قبل أن يختارا لأنفسهم إماماً، عفيفاً، ورعاً، عارفاً بالقضاء السنة..»[(٢)].

٦ ـ تشخيص القائد:

ولا يكفي أن يتحدث المبلّغ الديني عن موقع القيادة، وصفات القائد دون أن يشير إلى المصداق الخارجي الذي تتوفر فيه تلك الصفات.

فالأمة تريد من المبلّغ الديني، ومن علماء الدين، أن يدلوهم على القيادة الشرعية الفعلية، وليس على مجرّد النظرية الإسلامية.

ألسنا نجد هذا الأمر في عملية التقليد والمرجعية الدينية حيث ترجع الأمة إلى أهل الخبرة، وأهل العلم للتعرف على المجتهد الذي يجب أن ترجع إليه؟.

ألسنا نجد ذلك في إمام الجماعة حيث يحتاج المأموم إلى معرفة شخص الإمام، ومعرفة عدالته من خلال شهادة الثقاة، أوحسن الظاهر، أو المعرفة الشخصية.

---

(١) ميزان الحكمة: باب السفر.

(٢) ميزان الحكمة.

إذن كيف نترك الأمة وحدها في علمية تشخيص القائد دون أن نعينها على معرفته!؟؟.

من الذي يتحمل مسؤولية الانحراف إذا خدعت الأمة بقيادات غير جديرة ولا شرعية؟.

وقد يكون مفيداً بهذا الصدد أن نذكر أن أحد أسباب انتصار الثورة الإسلامية في إيران وديمومتها هو الدور العظيم الذي قام به العلماء المبلّغون في ربط الأمة بقيادتها، فلم تكن مهمتهم فقط شرح المفاهيم الثورية، أو النظرية الإسلامية، إنما تحملوا مسؤولية ربط الأمة بقيادتها والقضاء على أي حركة مخالفة.

وكان أعظم دور قام به علماء الدين في إيران بعد رحلة الإمام الخميني ﷺ هو اجتماعهم السريع وتشخيص قائد للأمة مستجمع لشروط، وهو سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله) ولولا ذلك لم يكن أحد يعلم ماذا سيكون مصير الثورة والدولة.

٧ ـ التربية على احترام العلماء:

لقد قامت النظرية الإسلامية في الحكم والإدارة على أساس إعطاء علماء الدين موقع القيادة والحاكمية، ولم يكن هذا المبدأ خاصاً بالوالي الفقيه إنما هو مبدأ يعبر عن نظرة الدين لعملية هداية الأمة والسبل الصحيحة في ذلك، حيث ترى النظرية الدينية أن علماء الدين الصالحين هم السبيل لتحقيق الهداية، والنجاح الديني الثقافي والسياسي، من هنا جاءت الدعوة لمجالسة العلماء، ومخالطتهم والسؤال منهم، حتى كان النظر إلى وجه العالم عبادة.

ومن المهم أن يدرك المبلّغ الديني كما يعرّف الأمة بحقيقة أن عملية تضعيف العلماء وتسقيطهم أحياناً إنما هي عملية مستهدفة تمس واقع الحركة الإسلامية، وتطعن بمشروع المعارضة الدينية، بل تجرح عملياً أطروحة الدين في النظام والدولة.

من هنا يجدر بالمبلّغ الديني أن يقف مدافعاً عن العلماء، وخاصة الشخصيّات العلمية المتصدية منهم للعمل الثوري السياسي والتي تقع عادة في مرمى سهام الأعداء.

ولا يمكن أن يقف المبلّغ الديني صامتاً مكتوف اليدين أمام عمليات التشكيك والافتراء التي تطال الشخصيات الدينية العامة.

ولو قدّر للشعب الإيراني أن يتخلى عن علمائه ويبتعد عنهم لسرعان ما سقطت الثورة، وبقي الإمام وحيداً في المعترك الثقافي والسياسي.

وقد كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ يباشرون ذات العملية في محاربة النبي ﷺ بحجة الطعن بعلي عليه السلام حيث لم يكن يسعهم الطعن المباشر برسول الله ﷺ، ولخطورة المسألة كان رسول الله ﷺ يقول: **«من سب علياً فقد سبني»**.

٨ ـ العمل على توحيد الأمة:

لما كان رصيدنا في عملية الثورة ضد الظالمين هو الأمة كان لزاماً علينا السعي لتوحيد صفوفها ووضعها جميعاً في خط الثورة الصحيح.

بل إن وحدة الأمة على صعيد الواقع يكشف عن ارتباطها بمبادئها الوحدوية، وعلى عكس ذلك تفرّقها وتشرذمها، فإنه يكشف عن تخلفها العقائدي والأخلاقي.

ومن هنا كان السعي لتوحيد الأمة تعبيراً عن ضرورة دينية وسياسية في ذات الوقت.

المبلّغ الديني يجب أن يكون الرجل الأول في هذا الميدان، فهو داعية وحدة الصف، ووحدة الكلمة، واجتماع القلب والتآلف على الحق ونصرته.

إن هذا الأمر يفرض أن ينطلق المبلّغ الديني من منطلق العناية بالجميع، وحمل همومهم، ورعاية كل أطراف الحركة الإسلامية، وكل طبقات الأمة الفاعلة في الساحة.

وتأسيساً على ذلك أيضاً يتعين على العالم الديني أن يلتزم بالخط العام في التبليغ بعيداً عن كل ما يثير الفرقة المذهبية والسياسية بين المؤمنين.

الفصل السادس

كيفية التعامل الاجتماعي

١ ـ التعامل مع الجمهور.

٢ ـ التعامل مع المستضعفين.

٣ ـ التعامل مع المضيف.

٤ ـ التعامل مع علماء المنطقة.

١ ـ السلوك مع الجمهور:

إن العلاقة الأولى للمبلّغ تكون مع الجمهور، كما كان الأنبياء عليهم السلام معهم، وبُعثوا فيهم قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا﴾[1].

وجمهور الناس هم الذين أمر الإمام علي عليه السلام بالتزامهم ومسايرتهم والارتباط بهم ارتباطاً عضوياً، حيث قال:

«والزما السواد الأعظم، فإن يد الله على الجماعة»[2].

---

(١) الجمعة: ٢.

(٢) الحياة: ١/ ٢٣٨.

هذا الجمهور الكبير وهذه الأمة الإسلامية لها حق ثابت على الجميع، وقد ذكر الإمام السجاد عليه السلام هذا الحق في (رسالة الحقوق) حيث قال:

«حق أهل ملتك أضمار السلامة والرحمة لهم، الرفق بمسيئهم وتألفهم واستصلاحهم وشكر محسنهم، وكف الأذى عنهم وتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبابهم بمنزلة أخوتك، عجائزهم بمنزلة أمك، والصغار بمنزلة أولادك»(١).

والواجب هو أن نسعى من اجل ازدهار الأمة الإسلامية، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»(٢).

٢ ـ التعامل مع المستضعفين:

بما أن المبلّغين للإسلام هم الناشرون للعقيدة الإسلامية، ويحملون رسالة الأنبياء عليهم السلام على عواتقهم فإن عليهم أن يكونوا سنداً للمستضعفين، ويعيشوا همومهم وينصرنهم، عليهم أن يعايشوهم ويحترموا مطالبهم ويكونوا من المدافعين عن حقوقهم كما كان هكذا النهج العلمي والأصيل للأنبياء عليهم السلام والقرآن الكريم يقدم صورة عن منهج وطريقة التعامل لدى الأنبياء بقوله تعالى:

(١) الحياة: ١/ ٢٣٠.
(٢) تحف العقول: الحديث ١٨١.

﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

وعليه فإن على المبلّغين الذين يبلغون الأصول من رسالة الأنبياء عليهم السلام أن يسلكوا طريقهم ويدافعوا عما دافع عنه الأنبياء عليهم السلام، وإياهم أن ينشغلوا بالجمال الظاهري والمقام والجلال المادي للأثرياء، وملّاك الأراضي، وليتذكرا قول النبي صلى الله عليه وآله:

«من أتى غنياً فتضعضع بشيء يصيبه منه ذهب ثلثا دينه»[(٢)].

وليعلم المبلّغون أن النبي صلى الله عليه وآله حينما دخل المدينة، التف الناس حوله وأخذوا زمام الناقة، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتركوا الناقة فإنها مأمورة وأعلمهم بأنه ينزل عند من تبرك الناقة عنده، أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وآله في داره فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري الذي عرف عنه بأنه **«لم يكن في المدينة أفقر منه»**[(٣)].

هذه نماذج يسيرة جداً من طريقة التعامل لدى الأنبياء عليهم السلام، وأولياء الله مع المستضعفين، واليوم على المبلغين للإسلام أن يجعلوا هذا الأسلوب في صدارة برامجهم.

٣ ـ التعامل مع المضيف:

ننصح الأخوة المبلّغون في المدن والقرى أن يجدوا لهم مكاناً

---

(١) الشعراء: ١١٠ ـ ١١٤.

(٢) الاختصاص: ٢٢٣.

(٣) الحياة: ٢/ ٥٦.

للسكن ليكن تحت تصرفهم، ولا يكونوا ـ ما أمكنهم ـ سبباً لتكلف الآخرين، إلا أن يترجح لديهم أنهم يمكن أن يألفوا الناس بصورة أفضل فيما إذا كانوا ضيفاً، وأنهم أقدر على إرشادهم عن هذا الطريق.

يرجى من الأخوة المبلّغين والأخوات المبلّغات في سفراتهم التبليغية أن يراعوا هذه النقاط حال كونهم ضيوفاً لدى أخوتهم وأخواتهم في الإيمان:

أ) السعي قدر المستطاع للنزول عند أشخاص متدينين من ذوي السمعة الطيبة والذوق السليم، وليختاروا المضيف الوجيه من بين الناس، وليكن معروفاً ومؤيداً في المجتمع، واجتناب النزول في بيوت الأثرياء والأشراف الذين اشتهروا بالموائد الفاخرة.

ولدى استجابة الضيافة عليهم أن يتذكرا ما جاء في نهج البلاغة، فيما كتبه الإمام علي عليه السلام إلى واليه عثمان بن حنيف الأنصاري:

«أما بعد، يا بن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فاسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان، وما ظننت انك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو..»[1].

ب) انتخاب القادر على القيام بشؤون الضيافة من الناحية المادية من ذوي السمعة والماضي الطيب مع مراعاة عدم إيجاد مضايقة لأهله في السكن.

---

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٤٥.

ج) بعد انتخاب المضيف ينبغي بذل السعي الكبير لأن يكون تكلفه اقل ما يمكن، كما ينبغي عدم طلب الأطعمة الخاصة، فقد ورد في أحاديث أئمتنا، ـ وهم مربّوا البشر حقاً ـ وصف من يأمر وينهى مضيفه بصفة (المتأمر على رب البيت).

كما ينبغي على المبلّغين أن لا يطرحوا رأياً في تهيئة غرفة النوم والاستراحة، بل عليهم اعتبار أنفسهم أحد أعضاء ذلك البيت، والتعاون مع المضيف ما أمكن في شؤون الضيافة.

وفي حالة تضايق سكنة الدار في النهار نتيجة لصغره، يحسن بالمبلّغ ترك الدار قدر المستطاع وإقامة المجالس التبليغية خارجه، ومع عدمها يتوجه إلى التكايا والمساجد والمكتبات للمطالعة، وليعلم انه مهما كان محترماً بين الناس فإن التضييق عليهم يوجب حطاً من شأنه وعدم الاهتمام به.

د) الاستجابة لدعوة الضيافة إذا وجهها أحد الأخيار، لأن إجابة دعوة المؤمن من الواجبات الخلقية، وفيها احترام لشخصية الداعي، كما أوصى قادة الإسلام، مؤكدين على عدم رفض دعوة المؤمن، والاستجابة الأشد لذوي الدخل المتوسط أو دونه.

هـ) عدم معاشرة المنهي عن مجالستهم في الإسلام قدر المستطاع، ومن الطبيعي أن تكون مجالستهم ضارة لأنهم ذووا أخلاق رذيلة وصفات قبيحة، وقد ذكر المرحوم الكليني ﷺ في أصول الكافي (كتاب العشرة) أشكالاً للمعاشرة الصحيحة والخاطئة، فليراجع.

المهم في المعاشرة هو سلوك طريق ونهج الأنبياء والأئمة عليهم السلام، حيث عاشروا المستضعفين دائماً، واجتنبوا معاشرة الأعيان والأثرياء والطغاة والمسرفين والمستكبرين.

٤ ـ التعامل مع علماء المنطقة:

في المدن والقرى ـ عادة ـ علماء يتحملون مسؤوليات فيها، تحت عنوان إمامة الجمعة والجماعة، في مثل هذه المناطق ينبغي أن يتصل الأخوة المبلّغون بهم ويبدأوا العمل التبليغي بعد تبادل الرأي والتشاور معهم.

وعليهم أن يساندوهم ويحترموا شخصيتهم، ويختاروا المضيف باستشارة عالم المنطقة، وفيما إذا شاهدوا حالة من عدم الانسجام بين الناس وعالم المنطقة فعليهم رفعه قدر الإمكان وإحلال الانسجام بين الناس وعلماء الدين والتقدم نحو الأهداف الإسلامية السامية.

وقد يسمع أحياناً أن بعض المبلغين ينزلون عند أشخاص، أو جهات تفقد النظرة الحسنة لعالم المنطقة، ويبادر المبلّغ بانتقاد ذلك العالم على المنبر دونما تحقيق في القضية، وهذا عمل غير شرعي ومرفوض بشدة.

في مثل هذه الموارد ينبغي الاتصال بذلك العالم ونقل، وجهات نظر المخالفين له لكي يطلع على رأيه بهذا بحيث يمكن رفع هذه الحالة قدر الإمكان.

الفصل السابع

العلاقة بين المبلغ والناس

١ ـ الناس هدف أم موضوع.

٢ ـ هل نتجرد عن الرغبة في الهداية.

٣ ـ هل نسعى لكسب مودة الناس.

٤ ـ مسؤوليات الناس تجاه العلماء.

١ ـ الناس هدف أم موضوع للعمل التبليغي؟

لعلّ من أعقد الموضوعات، وأهمها في محاولة استكشاف النظرية الإسلامية في التبليغ هو (موقع الناس) في العملية التبليغية، وما (هو الأساس) الذي يتم التعامل على ضوئه مع الناس.

(الفرد المستمع) أو (الجماعة المستمعون) هل هم هدفنا في العمل التبليغي بحيث يكون المقصود من حركتنا التبليغية، والدافع الكامن ورائها هو (هداية الناس) فإذا تحققت نكون قد نجحنا في مهمتنا، وإن لم تتحقق نكون قد فشلنا؟.

أم أن (الناس) هم ميدان الحركة التبليغية، والموضوع الذي

نتحرك في داخله، وليس هو الهدف، إنما الهدف هو إقامة الحجة، وإيصال صوت الحق، وتبيين الأحكام والحقائق للناس لتكون ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(١)، أما هدايتهم فتلك قضية أخرى قد تتحقق وقد لا تتحقق، وهي ليست منوطة بنا، ولا مقياس نجاحنا أو إخفاقنا؟!

هناك عدة آيات ذات دلالة جيدة في هذا الموضوع:

قال تعالى في تحديد مهمة الأنبياء عليهم السلام:

﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٢).

وقال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾(٣).

ونتيجة استعراض جميع الآيات في هذا الصدد: (**أن الناس هم موضوع العمل التبليغي وليس هدفاً له**) وإنما الهدف هو البلاغ والإبلاغ، وإقامة الحجة على الأرض، وإيصالها للناس جميعاً، لكي لا يكون لهم على الله حجة.

٢ ـ هل نسعى لكسب مودة الناس؟

لا يكاد ينجح عمل المبلغ الديني دون كسب مودة الناس، فهو يعمل معهم، ويبتغي التأثير عليهم، واستصلاح حالهم، وتوجيههم نحو الخير، وردعهم عن الشر، فكيف يصل إلى ذلك إذا حكمت بينه وبينهم قطيعة، أو نفروا من الاستماع إليه والاقتراب منه؟!

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٩.

(٢) سورة النحل: ٣٥.

(٣) سورة الشورى: ٤٨.

إلا أن هذا الموضوع المهم (كسب مودة الناس) محاط بكثير من المخاطر، والأخطاء في الممارسة، الأمر الذي يدعونا لتثبيت عدة ملاحظات حوله:

أ ـ مودة الناس ليست قيمة مطلقة:

يجب أن لا ننظر إلى (مودة الناس) باعتبارها مقياساً للحق والباطل، فقد يكون الناس معنا وقد لا يكونوا، إننا نسعى لهدايتهم وكسب مودتهم ونكون لهم أباً رحيماً لا سبعاً ضارياً، إلا أنهم قد لا يكونوا أهلًا للهداية ولا يستجيبون لداعي الحق.

لقد أعرض أكثر الناس عن أهل البيت عليهم السلام حتى قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: **«ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»**[١].

ولقد أعرض أكثر الناس عن الأنبياء حتى قالوا فيهم: (ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا)، فهل يعني ذلك أن الأنبياء كانوا على باطل.

أو كان أئمة الهدى على ضلال؟!

ب ـ كسب المودة للدين لا للشخص:

وحينما نعمل على كسب مودة الناس يجب أن لا ننساق لتحقيق المطامح الشخصية، ويكون السعي بهدف كسب الجاه، ومحمدة الناس، وإطرائهم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٦/ تاريخ الإمام علي بن الحسين(ع): ص١٤٣.

لاحظوا ماذا يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(رحم الله عبداً اجترّ مودة الناس إلينا)[١].

فالمطلوب هو كسب المودة للدين، وأئمة الدين، وقضايا الدين.

ج ـ رضى الله قبل رضى الناس:

يقول الإمام علي عليه السلام في كتابه إلى محمد بن أبي بكر حين ولّاه مصر:

«ولا تسخط الله برضى أحد من خلقه»[٢].

وهو في هذه التوصية يحذرنا من الانسياق مع طلب رضى الناس ومودتهم بعيداً عن رضى الله تعالى وتجاوزاً للحق، وإهمالاً لواجب النصيحة التي قد تسخط عدداً من الناس.

إن السعي في كسب مودة الناس يجب أن لا يدعونا للمداهنة في دين الله، والتنازل عن الوظيفة الشرعية المفروضة على المؤمنين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و(القول بالحق وإن عز، والصمت عن الباطل وإن نفع)[٣].

وقد كان الإمام علي عليه السلام يقول:

«أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة»،

---

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص٦٥.

(٣) دعاء الإمام مكارم الأخلاق، للإمام زين العابدين(ع).

وقد أمر الله تعالى نبيه الأكرم ﷺ: أن يغلظ على المنافقين في القول ولا يداهنهم في قول أو فعل.

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾(١).

د ـ الانفتاح على الجمهور:

يقول الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر:

«وأما بعد، فلا تطولنّ احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور..».

كما يقول ﷺ في موضع آخر من العهد:

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطتك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع، فإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن:

«لن تقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع».

وهكذا يتعين على المبلغ الديني أن يكون قريباً من الناس، حاضراً عندهم، يستطيع أن يصل إليه صاحب المسألة، والحاجة.

هـ ـ توضيح الحقائق:

يقول الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر:

---

(١) سورة التوبة: ٧٣.

«وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك، وأعدل عنك ظنونهم بأصحارك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقاً برعيتك، واعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق».

وهكذا نعرف أن المبلغ الديني مسؤول عن توضيح الحقائق للناس، وردّ الشبهات التي تختلج في صدورهم حوله، أو حول العمل الإسلامي، والشؤون المتعلقة به.

و ـ حدثوهم بما يعرفون:

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ:

«لا تحدثوا الناس بما لا يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله؟!».

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أتحبون أن يكذّب الله ورسوله؟! حدثوا الناس بما يعرفون، وأمسكوا عما ينكرون».

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

«خالطوا الناس بما يعرفون، ودعوهم مما ينكرون، ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا، إن أمرنا صعب مستصعب لا يتحمله إلا ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»[1].

---

(١) انظر هذه النصوص في بحار الأنوار: ج٢ آداب التعليم.

٤ ـ مسؤوليات الناس تجاه العلماء

لم تكتف الشريعة الإسلامية بالحديث عن مسؤولية العلماء، وخصال المبلّغ الديني وفضل التبليغ وآدابه حتى تحدثت بنحو مسهب عن حق المبلغين، ومسؤولية الناس اتجاههم، وهذا ما نريد الإشارة إليه في أحد فصول دراستنا للتبليغ في ضوء القرآن والسنة.

أ ـ محاسبة الناس يوم القيامة:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلّق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه)[1].

ب ـ وجوب إكرام العلماء:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من أكرم فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض ومن أهان فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»**[2].

ثم تمضي الأحاديث الشريفة في استعراض صور الإكرام والتقدير والاحترام للعالم الديني، وقد ركزت على جوانب كثيرة نذكر منها:

١ ـ التواضع للعالم.

٢ ـ حسن الاستماع إليه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢، باب (حق العالم).
(٢) المصدر السابق.

٣ ـ عدم رفع الصوت بحضوره.

٤ ـ الصمت، وعدم الحديث مع أحد في مجلسه.

٥ ـ الدفاع عنه.

٦ ـ الثناء عليه، وذكر فضائله، وستر معايبه.

٧ ـ مقاطعة أعدائه.

٨ ـ القيام له احتراماً وتعظيماً.

٩ ـ عدم مقاطعته إذا تحدث.

١٠ ـ عدم إزعاجه بكثرة الأسئلة.

١١ ـ أن يخصّه بالسلام، ويعمّ القوم بسلام آخر.

١٢ ـ أن يجلس بين يديه.

١٣ ـ الاستباق إلى خدمته إن كان لديه حاجة.

١٤ ـ أن لا يفشي له سراً.

ويمكن أن نقرأ بهذا الصدد بعض الأحاديث الشريفة:

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: **«وحق سائسك بالعلم**[١] **التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع صوتك عليه، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا**

---

(١) السائس بالعلم هو المرشد والمبلّغ الديني.

تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته، وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس»[١].

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان علي عليه السلام يقول: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تجر بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم عليهم جميعاً وخصّه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينيك، ولا تشر بيديك، ولا تكثر من قول قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبته فإنما مَثَل العالم مَثَل النخلة ينتظر بها متى يسقط عليك منها شيء، والعالِم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله»[٢].

(١) بحار الأنوار: ج٢، باب (حق العالم).
(٢) المصدر السابق.

الفصل الثامن

أخلاقية المبلّغ

١ ـ الشعور بحب الآخرين.

٢ ـ البساطة في الحياة.

٣ ـ الرفق بالناس ومداراتهم.

٤ ـ التواضع.

٥ ـ العفة والطهارة.

٦ ـ الشهامة في بيان الحق.

الخصال الذميمة:

١ ـ حب الجاه والمقام.

٢ ـ الحسد.

٣ ـ الغرور.

الأخلاق:

تتناسب قيمة المرء مع ما يحمله من خلق، وقدر كل إنسان يتحدّد بمقدار تكامله في تربية النفس إقامة خُلقها.

الأخلاق هي الصورة النفسية للإنسان، والتي ترسم شخصيته المعنوية، فكما أن الرياضة تعطي لجسم الإنسان مظهره الجذاب فإن الأخلاق تعطي للروح الإنسانية صورتها وتجعلها جميلة وإنسانية.

وقد أثنى القرآن الكريم على النبي ﷺ بكلمة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، أي بالمقياس الذي تقاس به العظائم والمحاسن.

وقد أشار النبي ﷺ في كلام له إلى أن الغاية من رسالته هي إتمام مكارم الأخلاق **«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**.

من واجب الجميع التخلق بالأخلاق الإنسانية، والتطهر والتنزه عن الخصال القبيحة واللاإنسانية، ويكون هذا التطهر والتنزه ذا أهمية كبيرة بالنسبة للمبلّغين.

المبلّغون الذين يدعون الناس من خلال عملهم التبليغي والإرشادي إلى الفضائل والصالحات والأخلاق الحسنة والصدق والصواب و. . ويحذرونهم من الرذائل والقبائح والأخلاق الذميمة والغش والاعوجاج، ينبغي أن يتخلقوا بتلك الأخلاق أولّا ليتسنى لهم أمر الناس بها.

ومرة أخرى، فإن الأخلاق هي العنصر الوحيد لكسب الناس والتأثير عليهم، فكما أن الأخلاق الإنسانية الحسنة عامل لاجتذاب الناس، فإن الأخلاق السيئة تعمل على تنفير الناس وفرارهم. ولذلك فإن الأخلاق تعتبر ضرورة وأساسية لشخصية المبلّغ.

ولكي يتم اكتساب الكمال الخلقي ينبغي الإطلاع على كتب الأخلاق دراستها بدقة.

وليس لنا هنا إلا الإشارة إلى ماله أهمية أكبر في قضية التبليغ.

إن الإسلام جاء ليقارن بين الجمال الظاهر والجمال الباطن، ولذا كان الاثنان أمرين لازمين وذو قيمة كبيرة، فيكون جمال الظاهر بالقدر المطلوب، والموافق للميل النفساني للجمال وكرعاية النظافة والصحة مثلاً، وأما جمال الباطن فيكون بمعنى اكتساب الخصال الإنسانية الحسنة واندماجها بالروح تطهير الباطن من الأخلاق الذميمة واللاإنسانية.

الأخلاق الحميدة:

١ ـ الشعور بحب الآخرين:

الخصلة الأولى التي يجب ظهورها في المبلّغ وتجذرها في أعماق روحه هي الشعور بحب بني الإنسان، والتحرق لهدايتهم وإصلاحهم.

لقد ذكرنا أن التبليغ هو مواصلة رسالة الأنبياء عليهم السلام عملهم، فإذا ألقينا نظرة على أحوالهم لوجدنا فيهم هذا الشعور الجياش بأبهى صوره وأنواعه.

وقد تحملوا جميعاً ـ بدون استثناء ـ أعظم المشكلات وأصعبها من اجل إنقاذ البشر وتحملوا الآلام وداسوا على الأشواك، وتحملوا التراب والرماد الملقى على رؤوسهم، واستقبلوا بأرواحهم الأذى والعذاب من أجل هداية الإنسان ونجاته.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أكمل أنبياء الله، قال تعالى:

﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾(٣).

٢ ـ البساطة في الحياة:

كانت البساطة في شؤون الحياة من خصال الأنبياء عليهم السلام، فقد عاشوا بمنتهى البساطة، وخاضوا هذا البحر العميق، ولم تتأثر ملابسهم بمائه، تخففوا وزهدوا، ولم تحمل قلوبهم همّ الماديات، ولم يفكروا في فترة العمر إلا في الهدف، وهكذا ينبغي أن يكون رجال العقيدة والهدف على مر التاريخ.

والمبلّغون للدين الإسلامي الذين يواصلون مسيرة الأنبياء، ويسعون كل السعي لنشر الثقافة الدينية، والأهداف الإلهية المقدسة، لا يصلون إلى الغاية بصورة صحيحة إلا بالبساطة في شؤون الحياة، والتحرر من كل قيد. فإذا تولدت في أفكار المبلّغ وعمله التبليغي حالة الإنشداد أي ماديات الحياة والتقيد بخارفها وجاهها فإن ذلك سوف يصده عن الطريق المقدس أمامه ويقعده عن هدفه السامي.

والمجتمع الذي ينتشر المبلغون فيه مجتمع شيعي، والناس لهم معرفة بحياة الأئمة. خصوصاً حكومة الإمام علي عليه السلام أيام خلافته،

---

(١) طه: ١ ـ ٢.

(٢) الشعراء: ٣.

(٣) فاطر: ٨.

فالشيعي يتوقع أن يرى في هذه المرحلة ما يشبه تلك الأيام عل الأقل. ولكن قد نرى البعض في هذا العصر يضطر إلى اتخاذ بعض الإجراءات التي تفرضها بعض الحالات والساحات، ولها حكم الضرورة والاضطرار بالنسبة إليه، المفروض هو ألا يكون هذا الأمر أصلًا ومقياساً عملياً بالنسبة لمن لا يواجه مثل هذه الظروف.

وثمة آيات وروايات كثيرة تدعو إلى البساطة في الحياة، ونذكر هنا آية واحدة وأيضاً نذكر رواية واحدة، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب وكان مما أوحى الله إلى داود، يا داود: لا تجعل بيني بينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم»[2].

٣ ـ مداراة الناس والرفق بهم:

إن الرفق رفيق العلم، فإذا كان العلم بالقرآن والحديث والمعارف الإسلامية فالمفروض أن يكون مقروناً بالرفق، كما أن تعليم

---

(١) الشورى: ٢٠.

(٢) أصول الكافي: ج١ ص٨٥.

الناس تربيتهم يلزم أن يكونا بلين ومداراة، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: **«لن يثمر العلم حتى يقارنه الحلم»**.

من هنا فإن على المبلّغين تجنب أي تحميق وتكفير وعقاب وطرد وتحقير للناس ـ صغيرهم وكبيرهم ـ فإن ذلك بعيد عن سيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وينبغي الالتفات إلى أن مستويات الناس مختلفة في الإيمان والعقيدة، ليسوا كالمبلّغ لتكون لهم معلومات وافرة عن الإسلام، وليست القضايا واضحة أمامهم، فهم ربما يقبلون على طرح الأسئلة لتطرق الشك أو الغفلة تجاه أية قضية مسلم بها فيسألون مترددين، فعلى المبلّغ أن يجيب بحلم ومداراة، ويشرح موضوعه ويوضحه وببيانات متنوعة، ولا ينزعج من أي سؤال عن أي قضية وليحذر أن لا يرد ولا يطرده من مجلسه ومحفله وعليه الاحتراز من تفسيقه وتكفيره ولو كان سؤاله يقرب إلى حد ما من التفسيق والتكفير، بل عليه أن يكشف له عن ملابسة القضية ويأخذ بيده إلى سبيل النجاة.

٤ ـ التواضع:

التواضع من الخصال التي تضفي على المبلّغين جمالاً، وهو رمز نجاحهم في المجتمع، وعنصر جذاب، وعامل على الوحدة والانسجام.

والتواضع يعتبر مهداً رقيقاً وسلماً سلسلً لبث الأفكار وتربية الناس وإرشادهم، وكلما ازداد المبلّغ تواضعاً عظم شأنه وقدره في مجتمعه.

ولذا فإن على المبلّغين إخلاء قلوبهم من ترقب الاحترام والتكريم مهما كانت الخدمات التي يسدلوها لمجتمعهم، بل عليهم أن يتقربوا بذلك كله رضا الله والنجاة من عقابه، قال الإمام علي عليه السلام: «**لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك**».

وثمة آيات وروايات كثيرة تثني على التواضع، نكتفي بذكر إحدى الروايات، وللإحاطة الكاملة ينبغي مراجعة كتب الأخلاق.

ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله**»(١).

كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس، وأن تسلّم على من تلقى، وأن تترك المراء وإن كنت محقاً، وأن لا تحب أن تحمد على التقوى**»(٢).

ولذا فإن علماء الأخلاق ذكروا علائماً وآثاراً يمكن بها اكتشاف وجود هذه الصفة في الإنسان وعدمها فينبغي للمبلّغ مطالعتها والسعي الدؤوب على تحقيق ما يفرز تواضعه كصفة أصيلة في نفسه لا عارضة بسبب تبليغه، وفيما يلي تذكرت بعضها:

أ) عند التباحث والمناقشة مع الرفاق، إذا طرح الأول موضوعاً محقاً فإن على الثاني أن يتقبل ذلك منه، ويشكره، وإن كان دونه في المستوى العلمي.

---

(١) جامع السعادات: ١/ ٣٥٩.

(٢) أصول الكافي: ج٣/ ص١٨٦.

ب) في المجالس إذا جلس أشخاص في صدر المجلس، فالمطلوب عدم التأثر، فإن من الأخلاق الإسلامية أن يجلس الإنسان في أي مكان متوفر.

ج) أن يتكفل بنفسه أمر الشراء من السوق ورفع ما يحتاجه.

د) ارتداء الألبسة الاقتصادية، والتي تخرجه عن حدي الشهرة والامتهان.

هـ) أن يجلس برحابة صدر مع الطبقة الكادحة، ويأكل معهم وإن يحبب إلى نفسه ذلك.

و) أن لا يود في نفسه الاحترام والقيام والتشجيع والتقدير، ولا يعتبر ذلك شيئاً أساسياً.

ز) أن يقول إذا لم يعلم الشيء: لا اعلم بدون أي شعور بالحقارة والخجل، فإن ذلك من أسمى الكمالات الخلقية خصوصاً للمبلّغين والعلماء.

٥ ـ العفة والنزاهة:

العفة تعني التسلط على الغريزة الجنسية، فالعفيف من يمتلك زمام شهوته ويجعلها تحت إمرته، وهي من صفات المؤمنين الصالحين الذين تحررا من حكومة الشهوات وسلطتها.

إنه لمن الضروري أن يتصف العموم سيما المبلّغين بالعفة، والمفروض السيطرة الجذرية على الميول والشهوات، فالميل إلى الغذاء وشهوة الأكل لا تقل عن الشهوة الجنسية، فأهل البطون يمرون بأزمة أخلاقية، ويلهثون دائماً وراء الأطعمة اللذيذة و...

وهذه الخصلة تدفعهم لارتكاب أعمال قبيحة وخساسة، وهي معاشرة الأثرياء والابتعاد عن المستضعفين، وهذا النهج يتخالف مع نهج الأنبياء وروح القرآن ونهج البلاغة والثقافة الإسلامية.

وهكذا في الغريزة الجنسية فإنها لو لم يمسك بزمامها ستجر الإنسان إلى الفضائح ولا تبقي له ديناً ولا دنيا، وتدمر حيثيته وشخصيته المادية والمعنوية، والاجتماعية والإلهية.

ويجب الالتفات إلى أن الانحراف الجنسي لو أصبح أمراً طبيعياً لدى الناس (رغم كونه قبيحاً مدمراً للحيثية الاجتماعية) فإن الأمر يختلف بالنسبة للمبلّغ والعالم، فإن أصغر انحراف يفضح المبلّغ إلى درجة لا يمكن جبرها، والمعيار هنا هو العرف والمجتمع.

ورد عن النبي ﷺ:

«ثلاث أخافهن على أمتي من بعدي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن الفرج»[1].

٦ ـ الشهامة في قول الحق:

من خصال الأحرار والملتزمين والمؤمنين هو الشهامة في قول الحق، ومع أخذ ماهية التبليغ، وترويج الإسلام بنظر الاعتبار يتجلى وجوب هذه الصفة، وكونها القوة الدافعة الوحيدة للمبلّغين.

وأما الخوف والجبن والضعف في بيان الحق، أو كتمان الحقيقة فإنها من الذنوب الكبيرة ولا يمكن جبرها.

(١) جامع السعادات: ٢/ ٤.

في العمل التبليغي قد تبرز بعض العوامل المانعة عن قول الحق، فإذا لم يراقب الإنسان نفسه بحرية وشجاعة كاملتين فإنه يمكن أن يضحي بالحقيقة أمام مصلحة وهمية علقت في ذهنه، أو ولدتها البيئة الخاصة.

في مثل هذه المواقف على المبلّغ أن يقتحم ـ مستعيناً بقوة الله ـ ما يواجهه من أجواء كاذبة أو من يعارض الحقيقة، ويطرد غمام الخرافات المظلمة والمعتقدات الوهمية الخاطئة من أذهان المجتمع.

وليلاحظ الأنبياء عليهم السلام كيف طرحوا أفكاراً جديدة تعارض الفكر السائد مائة بالمائة ولم يهابوا شيئاً.

الخصال القبيحة:

بعد ذكر نماذج قليلة من الخصال الإنسانية القيمة الكثيرة، نذكر هنا بعض الخصال الذميمة، لكي يهذب المبلغون أنفسهم منها ممن وجدت فيهم.

١ ـ حب المقام والجاه:

حب الجاه هو أن يهوى الإنسان انقياد الناس له وتسليمهم بآرائه.

وحب الشهرة وهي أن يشيع اسمه بين الناس.

هاتان الخصلتان تجران الإنسان إلى الهاوية، أما المبلّغ فيدفعانه إلى أمور لا تنسجم مع العمل التبليغي أبداً.

ورد عن النبي ﷺ: **«ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الجاه والمال في دين المسلم»**[١].

٢ ـ الحسد:

من الواجب أن تطهر القلوب من هذه الصفة الشيطانية ـ سيما ـ قلوب وباطن المبالغين والعلماء.

إن المبلّغ ينجز عملاً إلهياً وفي هذا الطريق عندما يلتقي بأمثاله، ومبلّغين آخرين في مستواه، أو في مستوى أعلى في حالة أداء الواجب التبليغي فالمفروض أن يفرح لذلك، ويشكر الله على وجود فرد آخر يساهم في رفع الحمل الثقيل من عاتقه.

وفي مثل هذه الموارد يكون أبسط وأخفى شكل من أشكال الحسد بعيداً عن روح الإسلام والتبليغ أمراً قبيحاً وغير لائق.

٣ ـ الغرور:

العجب بالنفس حالة نفسانية، أقل ضرر فيها هو المنع من الاطلاع على نقائص المعرفة ليتم رفعها وتكاملها، فالمغرور لا يثمن إلا فكره وعمله ويرى الصحة القيمة لنفسه، وأفكاره وأعماله فقط، لذا فإنه يعتمد على أفكاره في أي عمل وأسلوب، وهذا يسبب فساد الأعمال وحبطها، ومن جهة أخرى يكون الراضي عن نفسه موضعاً لسخط الآخرين في العمل التبليغي يبعث على نفرة الناس عنه بدلاً من جذبهم إليه.

---

(١) جامع السعادات: ٢/ ٣٤٩.

ورد عن الإمام الهادي عليه السلام:

«من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه»[(١)].

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«من لا يعرف لأحد الفضل، فهو المعجب برأيه»[(٢)].

٤ ـ المظهر الجميل:

من الأمور المطلوبة بصورة جدية في العمل التبليغي هو رعاية سلامة الفم والأسنان النظافة وجمال الملبس والرأس والوجه و.. ولا يعني ذلك التجمل ولبس الملابس الفاخرة، بل يعني أن تكون الملابس مرتبة نظيفة بسيطة في نفس الوقت، وأن يكون الرأس والوجه على شكل مرتب منسق، وأن تكون الأسنان مستاكة، لأن الناس ينظرون إلى سيماء المبلّغ لدى ممارسته عمله التبليغي، ولذا فإن اللانظام في وضع الرأس والملبس لدى المبلّغين فيه مردود سلبي على السامع يقلل من تأثير الكلام والتبليغ.

وبما أن المبلّغين يؤدون عمل الأنبياء عليهم السلام كان عليهم أن يتعلموا منهم، فقد ورد في أحوال النبي صلى الله عليه وآله: ماذا ورد في أحوال النبي؟

وقد تحدثت الروايات كثيراً عن أهمية هذه الأمور.

---

(١) الحياة: ١/ ١٥٧.

(٢) الحياة: ١/ ١٥٧.

الفصل التاسع

صفات المبلغ الديني

١ ـ القدوة الحسنة.

٢ ـ الإخلاص لله في العمل التبليغي.

٣ ـ الصبر على مشكلات العمل.

٤ ـ الحرص على الناس وإضمار المحبة لهم.

٥ ـ الأمانة على الشريعة.

٦ ـ الانطلاق من قضية أداء التكليف.

٧ ـ التوكل على الله تعالى.

ليس الحديث في هذا الفصل عن الأخلاق الإسلامية، والصفات الجميلة التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون عموماً، وخاصة علماء الدين، فقد اختصت كتب الأخلاق باستعراض ذلك.

إنما الحديث في هذا الفصل ـ وبنحو موجز ـ عن الصفات الأخلاقية الحسنة ذات الأثر والارتباط بعملية التبليغ والهداية، في الوقت الذي يلزم أن يتحلى المبلّغ الديني بعموم الصفات الأخلاقية الحسنة.

١ ـ القدوة الحسنة:

إن أول ما يلزم على المبلّغ الديني أن يتحلى به هو التوافق بين قوله وفعله، فهو واعظ بسلوكه قبل أن يكون واعظاً بلسانه، وبذلك يمتلك التأثير على الناس، وتكون كلمته نافذة إلى قلوبهم.

وفي هذا يقول الإمام علي عليه السلام:

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه»[١].

وليكن واضحاً لدى السادة المبلّغين أن هذا الحديث الشريف لا يختص بمقامات الإمامية العليا، وإنما يشمل كل من نصب نفسه قدوة ومرشداً وهادياً للناس.

وهكذا رد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: **«كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاح والخير فإن ذلك داعية»**[٢].

فيما نجد أن القرآن الكريم قد نهى عن حالة نصح الآخرين وعدم تمثل تلك النصائح قائلاً:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[٣].

ولهذا عرف عن نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، وعن أئمة أهل

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) ميزان الحكمة.

(٣) البقرة: ٤٤.

البيت عليهم السلام، أنهم ما دعوا إلى شيء حتى كانوا قد سبقوا إليه، ولا نهوا عن شيء حتى كانوا قد انتهوا عنه.

٢ ـ الإخلاص لله في التبليغ:

منذ أن يتقدم المبلّغ نحو العمل التبليغي، والدعوة إلى الله، يجب أن يراجع نفسه ليتأكد من الهدف الذي انطلق منه ما هو؟.

هل هو لله تعالى وأداء التكليف الشرعي، وانتظار الثواب الإلهي أم هو غير ذلك؟.

أن المبلّغ الديني الناجح والمؤثر يجب أن ينطلق من هدف إعلاء كلمة الله تعالى، والانتصار لدينه، وهداية الناس وإنقاذهم، وبذلك تكون كلمته مقرونة بالتأثير، ومشفوعة بالعناية الإلهية.

يروي علي بن عقبة عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام: يقول: **«اجعلوا أمركم لله، ولا تجعلوه للناس، فإن ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله»**[(١)].

ولقد ضرب الأنبياء لنا مثلاً في هذه الصفة حينما كانوا لا يسألون الناس أجراً، ولا ينتظرن منهم إلا استماع الكلمة، وقبول الموعظة، كما يحدث القرآن الكريم عن دعوة نوح عليه السلام حيث قال:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(٢)].

---

(١) أصول الكافي: ج١ باب الهداية من الله.

(٢) الشعراء: ١٠٩.

ومثل ذلك قال ثمود عليه السلام، وقال لوط عليه السلام، قال شعيب عليه السلام، فانظر سورة الشعراء تجد هذا الأمر مذكور لعدد من الأنبياء، وربما يكفي ذلك في الدلالة على أهمية هذا الموضوع واعتباره أساساً في عملية التبليغ.

وقد رأينا كيف أن النبي صلى الله عليه وآله قد أكد هذا المعنى بالذات حيث قال:

﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[١].

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة»[٢].

وفي هذا الضوء لا يصح أن يتطلّع المبلّغ الديني الذي يرجو ثواب الله والدار الآخرة لما في أيدي الناس، ويستهويه حطام الدنيا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث لعلي عليه السلام: **«يا علي لئن يهد الله على يديك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»**[٣].

وقد خاطب الله تعالى نبيّه بالقول:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٤].

---

(١) الفرقان: ٥٧.
(٢) بحار الأنوار: ج٢، آداب الرواية.
(٣) بحار الأنوار: ج٢١.
(٤) طه: ١٣١.

٣ ـ الصبر على مشكلات العمل:

يحتاج المبلّغ الديني إلى المزيد من الصبر، والتحمل، وهو يواجه في طريق العمل صنوف المشاكل مع الناس، ومشكلات مع العاملين معه، ومشكلات في توفير الأمور اللازمة، ومشكلات في مجمل الظروف المحيطة به.

وما لم يتمتع المبلّغ الديني بروح صبورة، وقلب واسع وقويّ أمام الصعوبات، والشدائد فإنه غير قادر على مواصلة العمل.

إن الصبر الذي امتاز به الأنبياء أولوا العزم في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1] لم يكن صبراً على بلاء شخصي، إنما هو الصبر على صعوبات العمل المختلفة، ولهذا فقد كانت الصبر ميزة أنبياء أولوا العزم الذين فضلوا على سائر الأنبياء ويمكن لذلك (أولي العزم) وقد تكون دلالة هذا الوصف واضحة على رباطة جأشهم، وسعة تحمّلهم، وقوة شخصيتهم أمام المشكلات.

وقد أمر الله تعالى بالتحلي بهذه الصفة المهمة جداً فيقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[2].

فأنت تلاحظ أن الصبر هنا هو الصبر على العمل، كما أمر الله تعالى نبيه في موضع آخر بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[3].

---

(١) الأحقاف/ ٣٥.

(٢) الكهف/ ٢٨.

(٣) المزمل: ١٠.

المبلّغ الديني الذي يريد أن يؤدي رسالة الله إلى الناس يجب أن يستعد لصنوف الأذى سواءً من الأصدقاء أحياناً لجهلهم، واختلاف أمزجتهم وتنوع آرائهم، أو لصدقهم في النصيحة له وتقويمه وإرشاده، أو من الأعداء أحياناً بمختلف مستوى عدائهم في الدين أو المذهب أو الطريقة أو المصلحة.

٤ ـ الحرص على الناس وإضمار المحبة لهم:

لقد وصف الله تعالى نبيه الأكرم ﷺ بالقول:

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

مما يدلّل على أن من أهم خاصية للمبلّغ الديني الذي يريد أن يرث الرسول ﷺ، ويؤدي أمانته هو الحرص على الناس، واستشعار روح الخدمة لهم، والمحبة لهم، والرفق بهم.

فهو إنما نصب نفسه هادياً ومرشداً ودليلاً إلى الجنة، وإلى الرحمة الإلهية، وإلى النجاة من النار، فلا بد أن يدرك موقعه هذا ما يتطلبه منه من روح رؤوفة عطوفة، وشعور كبير بالحنان على الناس.

٥ ـ الأمانة على الشريعة:

ولابد أن يستشعر المبلّغ الديني، ويرسخ ذلك في أعماقه بأنه أمين على الشريعة، موظف في إبلاغها للناس بأحسن وجه. انطلاقاً من قوله ﷺ:

«الفقهاء أمناء الرسل».

(١) التوبة: ١٢٨.

وهكذا كان ﷺ أمين الله على وحيه، وكان «**لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**».

ولهذا نقرأ في زيارته ﷺ:

«**أشهد أنك قد أدّيت الأمانة، وبلّغت الرسالة**».

٦ ـ الانطلاق من قضية أداء التكليف:

وعلى صعيد المنطلقات النفسيّة للمبلّغ الديني يجب أن يستشعر المبلّغ إلى جانب روح الخدمة للناس، والأمانة عليهم وعلى الشريعة، إنه إنما يؤدي وظيفته الشرعية، وتكليفه الإلهي.

هذا الشعور سوف يجنّبه حالة الامتنان على الناس، كما سيجنبه حالة التعب والملل، ويساعده على الصبر ومواصلة الطريق.

٧ ـ التوكل على الله وطلب التوفيق منه:

إن الهداية لا تتحقق لأحد إلا بعناية من الله تعالى في أداء الأمانة للناس، ومستعيناً بالصبر والصلاة، ومعتقداً بأن الله تعالى وحده هو الذي يمنّ بالهداية على من يشاء، كما يطلب العون منه على المشكلات العديدة.

ولأهمية هذه الخاصية النفسية والاعتقادية جاءت التوصيات المؤكدة والمتكررة والمكثفة للنبي ﷺ على التزامها.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[1].

(١) الأحزاب: ٣.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1].

إن روح التوكل على الله تعالى تعطي للمبلّغ الديني مناعة كبيرة أمام مختلف التخوفات والشدائد، وأمام الانهيارات النفسية.

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[2].

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[3].

---

(١) الطلاق: ٣.

(٢) إبراهيم: ١٢.

(٣) الأحزاب: ٤٨.

الفهرس